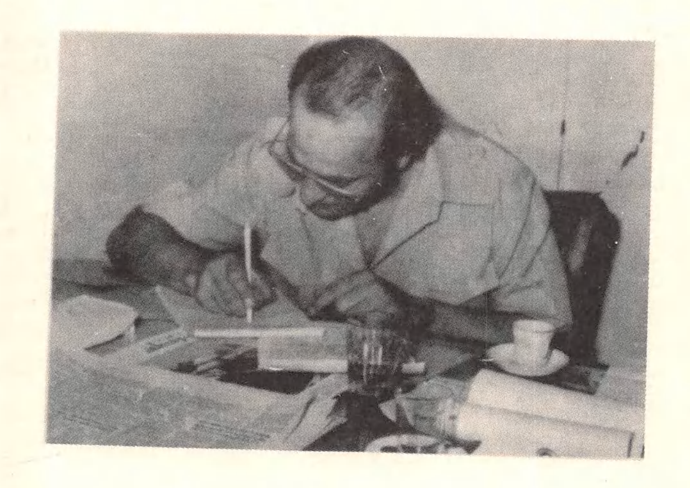


هاني الخير
اشهر الاغتيالات
السياسية
في العالم
دار
اسامة
بيروت - لبنان

المؤلف في سطور



- هاني الخيِّر . . من مواليد اللاذقية ١٩٥٠ .
- إجازة عامة بالآداب من قسم اللغة العربية ـ جامعة دمشق .
- عمل بالصحافة الشهرية واليومية منذ عام ١٩٧٢ وما يزال يعمل في بلاط صاحبة الجلالة : الصحافة .
- له آلاف المقالات ، والدراسات الأدبية ، والخواطر الوجدانية ، المنشورة في الصحافة السورية .
- له حضوره الأدبي المتميز في الحياة الثقافية .
- يمتاز أسلوبه بالبساطة والرصانة ، تحقيقاً لشعار الثقافة للجميع .

اشهر الاغتيالات

هاني الخير

اشهر الاغتيالات السياسية في العالم



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

شارع مار الياس - بناية وقف الروم
ص.ب: ١١/٣٤٢٦ - تلفون: ٣٦٣٤٩٤
بيروت - لبنان



الإهداء

إلى الصديق الأديب :

عادل بشتاوي

صاحب مقولة : الأدب لا يطعم خبزاً!

هاني الخير

تنويه

إن عرض هذه المجموعة المختارة - بعناية شديدة وفائقة - من حوادث الاغتيالات السياسية، التي جرت في انحاء متفرقة من العالم، قد تم حسب التسلسل التاريخي لوقوع الاغتيال. حيث انها لا تندرج بأي شكل من الاشكال، تحت أي تصنيف، أو ترقيم، أو مبررات لاختيار تلك الشخصية، أو اغفال شخصية اخرى هامة، غيبت بصورة قسرية غامضة عن عالمنا، اعتبرها حاليا خارج دائرة اهتمامي.

الاغتيال السياسي
تعريف

هو ظاهرة استخدام العنف والتصفية الجسدية، بحق شخصيات سياسية كأسلوب من أساليب العمل والصراع السياسي ضد الخصوم، بهدف خدمة اتجاه أو غرض سياسي. وبالطبع فإن ظاهرة اللجوء إلى العنف لتصفية لخصوم في العمل السياسي، أو القضاء على حكام وزعماء قديمة ومستمرة.

وفي الواقع فإن عددا من المفكرين السياسيين الكبار من امثال: توما الأكويني، وغيو سيبي ماتزيني جعلوا اغتيال الطغاة وسيلة من وسائل تحقيق الصالح العام، واعتبروا ذلك بمثابة شكل من اشكال تطبيق القانون الطبيعي.

وعلى الرغم من جاذبية السهولة والحسم، في ظاهرة الاغتيال السياسي، فإن الحركات الثورية الاشتراكية، والحركات السياسية الديمقراطية، احجمت عن اعتماد اسلوب الاغتيال في برامجها وأدانت اللجوء اليه، أما على اساس اخلاقي، أو لأنه فردي وغير جذري، ولا يحقق الهدف الاجتماعي والتغييري او للسببين معا.

أما النظم الفاشية فكثيرا ما تعمد الى هذا الأسلوب، حتى عندما تكون في سدة الحكم لإرهاب خصومها والقضاء عليهم. ومن الجدير بالملاحظة أن المخابرات الامبريالية تعتمد هذا الأسلوب، لتصفية بعض القادة الثوريين، كمحاولة اغتيال كاسترو، وجمال عبد الناصر، او اغتيال لومومبا... بعد أن تعجز عن تحريك القوى الداخلية.

لَيْتَ شِعري لَيْتَ شِعري
أيُّ أرضٍ هي قَبري !
ضاعَ عمري في اغترابٍ
ورحيلٍ مستمر
ومتى يومُ وفاتي ؟
ليتني لو كنتُ أدري

البهاء زهير



القيصر بولس الأول

في الساعة الواحدة من صباح يوم (١٢) اذار ـ مارس سنة ١٨٠١ ، دخل الكونت باهلن، حاكم مدينة بطرسبرج العسكري، على الأمير اسكندر ولي عهد روسيا حاملا إليه خبر موت أبيه بولس الأول موتا فجائيا، وهو نائم في سريره بثيابه الكاملة. وما أن علم الشاب بالخبر الذي حمله إليه الرجل، حتى جعل يبكي وينتحب. فصاح به باهلن :

ـ كفى يا مولاي. دعنا من اعمال الأطفال، واظهر امام الشعب فإن سعادته موقوفة على حكمتك وشجاعتك.

ودفع به إلى خارج غرفته وقاده الى فناء القصر الامبراطوري، حيث كان رجال الحرس محتشدين في انتظار القيصر الجديد. وهناك خاطب اسكندر الجيش قائلا :

ـ لقد مات أبي موتا فجائيا، وأنني اعدكم ان يكون حكمي كحكم جدتي الامبراطورية كاترين الثانية العظيمة !

كان الجزء الأول من هذا الكلام كذبا موجها إلى الجنود، لأن القيصر بولس الأول لم يمت موتا فجائيا بل قتل قتلا. وكان الجزء الثاني منه وعدا للضباط بأن يكون حكم القيصر الجديد أفضل من حكم أبيه القيصر المقتول.

كانت السنتان الاخيرتان من ايام القيصر بولس الأول اشبه بكابوس حط باثقاله ليس فقط على الذين كانوا يعيشون معه في القصر، بل على البلاد الروسية كلها. فإن حكم الارهاب كان قائما في عاصمة روسيا، وكان رجال البوليس يقبضون على الناس بلا فرق ولا تمييز ويقودونهم الى «القاعة السوداء» المعدة للتعذيب. وكان القيصر بولس الأول يتدخل في شؤون رعاياه الخاصة، وينزل بهم من أنواع الارهاق والأرهاب ما لا يتصوره عقل. فيأمر بالضرب والسجن والقتل والنفي بلا سبب ولا ذنب. فبدت مدينة بطرسبرج كأنها مقبرة لا يعيش فيها غير الأموات، يسيطر عليها امبراطور اصابه الجنون فأطلق لجنونه العنان وراح يخرب ويقتل بلا شفقة ولا رحمة. وكانت اوامر القيصر تقضي بأن تغلق منافذ الشوارع في الساعة التاسعة مساء بحواجز خشبية، فلا يسمح بالسير فيها إلاّ للأطباء والقابلات والممرضات !!

كان القيصر مجنونا، فاستحالت عاصمة ملكه بل مملكته بأسرها الى سجون، يخشى السجناء الخروج منها خوفا من الوقوع بين يدي ذلك القيصر المعتوه أو بين أيدي زبانيته الذين اطلقهم في طول البلاد وعرضها.

وفي اوائل اذار ـ مارس سنة ١٨٠١، راجت اشاعة في بطرسبرج عن مؤامرة قيل إن بعض عظماء المملكة يدبرونها لأغتيال القيصر. وبلغت تلك الاشاعة مسامع رئيس التشريفات في القصر، واسمه الكونت كوتايزوف، فأراد أن يستغلها لفائدته فحملها الى بولس الأول : قائلا له :

ـ إن زعيم المتآمرين هو الكونت باهلن، حاكم العاصمة العسكري !

فأرسل القيصر في طلب الكونت باهلن، ودار بينهما الحديث الآتي :

ـ قل لي يا كونت. . هل كنت في بطرسبرج سنة ١٧٦٢ ؟

ـ نعم يا صاحب الجلالة، ولكن ما معنى هذا السؤال ؟

ـ أريد أن أعلم إذا كنت قد اشتركت في المؤامرة التي ادت الى مصرع ابي المسكين في ذلك الوقت ؟

ـ كنت صغير السن في تلك السنة يا صاحب الجلالة. ولكن هل لكم أن تقولـوا لي لماذا تلقون علي هذا السؤال ؟

ـ لأنني أعلم ان هناك جماعة يريـدون أن يصنعوا اليـوم ما صنعـه اولئك في سنـة ١٧٦٢.

ـ هذا صحيح يا مولاي. إنني أعلم بهذه المؤامرة. وأنا أحد المتآمرين!

ـ كيف هذا ؟ وماذا تقول ؟!

ـ اقول الحقيقة يا مولاي. فـإن وظيفتي (وأنا حـاكم العاصمـة العسكري وقـائد البـوليس) تحتم عليَّ ان اكـون حيث يوجـد الخطر. فـأنـا أحـد اولئـك المتـآمرين، ولكنني اشتـرك معهم لكي اعلم سـير مؤامـرتهم. فكن مطمئنا لأنني قابض عليهم جميعا.

وبعد سكوت قصير، قال باهلن :

ـ إنني أحمـل معي قائمـةباسـماء المتـآمـرين فهل تـرغب جلالتكم في القـاء نـظرة عليها ؟

ـ لا. لا أريد أن أرى شيئا. ولكن رجـائي اليك ان تقبض عليهم في اسـرع ما يمكن. . . وأن تـزجهم في السجـون أو تنفيهم إلى اصقـاع سيبيـريـا. . أسرع. . .

ـ كان بودي أن افعل ذلك قبل اليوم يـا صاحب الجـلالة، لـو لم أكن خائفـا من الاساءة اليك، كأب وزوج ! فإن في رأس القائمة اسم زوجتـك واثنين من أبنائك!

وانتهى الحديث عند هذا الكلام. ولكن القيصر كان خائفا على حياته قبل كل شيء، فوقع على الأمر الذي قدمه له باهلن بالقبض على المتـآمرين. وبينهم الامبراطورة وولي العهد وابن القيصر الثاني. ولكن باهلن لم يعتقـل احدا منهم، لأنه كان يجب عليه ان يبدأ باعتقال نفسه إذ انه كان روح المؤامرة ومحركها.

وعندما انفضح أمره وعلم الامبـراطور نبـأه، لم يجد الكـونت منفذا آخـر لانقاذ نفسه، فعمد الى تلك الحيلة التي خدع بها القيصر. وقـد استخدم بـاهلن

ذلـك الأمر الـذي وقع عليـه بولس الأول، لكي يحمـل الغرانـدوق اسكندر بن القيصـر، على الانضمـام نهائيا الى المؤامـرة، لأنه كـان لا يزال إلى ذلـك الوقت مترددا حائرا.

بدأت مؤامرة قتل بولس الأول والتخلص منه وانقاذ روسيا من جنونه، في منزل امرأة جميلة تدعى اولفايرشكوف زوجة أحد كبار الموظفين المدعـو زوبوف. واشترك في باديء الأمر اصدقاء اولفا : الاميرال ياسيف ريبوس، ونيكيتا بانين، وسفير بريطانيا العـظمى اللورد ويتورث. ولكن أمـر الجماعـة اكتشف سريعـاً، فاضطر السفير إلى مغادرة روسيا ونفي بانـين إلى سيبيريـا وانتهى الأمر عنـد هذا الحد.

ولكن باهلن اعاد المؤامـرة بعد اخفـاقها واشـرك معه منـذ البدايـة قائـداً قديماً يدعى بنجسن كان يكره بولس الأول، ويرغب في القضاء عليه لأنه ابعده من الجيش. وتمكن الاثنان من استهواء جمـاعة من الشبـان المتحمسين، وضمـوا اليهم المدعو بلاثان زوبوف احد أصدقاء الامبراطورة كاترين الثانية، أم القيصـر بولس الأول.

واجتمع المتـآمرون في جلسة عـامة في ١١ اذار ـ مـارس سنة ١٨٠١، في المنزل الذي كان يقيم فيه الجنرال تاليزين بجوار القصر الامبراطوري، وأفرطـوا في تلك الليلة في احتسـاء الشمبانيا. وفي منتصف الليل اعـطى الكـونت بـاهلن اشـارة « السير » الى الامـام لتنفيذ مـا قرره المتـآمرون، وهـو قتل بـولس الأول والمنـاداة بابنـه اسكندر قيصـراً على روسيـا. وانقسم المتـآمرون الى قسمـين : أحدهما يقوده بنجسن، والثاني يقوده باهلن نفسه واتجه الجميع الى قصر القـديس ميخائيل، حيث يقيم الامبراطور.

كانت الليلة حالكـة الظلام . . . مـطيرة . . . . شـديدة البـرد . . . . وكان الثلج يتساقط من وقت الى لآخر . . دخل المتـآمرون القصر، فشعر بهم في آخـر لحظة احد رجال الحرس وصاح بأعلى صوته :

إلى السلاح !

فنهض الحراس من نومهم، واستل قائدهم سيفه وصاح بهم :

يا ابنائي إلى الأمام من اجل القيصر !

ولكنهم عندما وصلوا الى اسفل السلم المؤدي الى قاعات الامبراطور، ظهر في اعلى ذلك السلم حاكم العاصمة العسكري الكونت باهلن، وبجانبه الجنرال بنجسن، وقال باهلن بصوت متأثر :

- أيها الجنود، قفوا !

ثم قال بعد سكوت قصير :

- لقد مات القيصر بولس الأول موتا فجائيا. فليعش القيصر اسكندر !

ولكن ماذا حدث في تلك الليلة، بين الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة صباحاً ؟

توجه المتآمرون الى القصر على قسمين كما ذكرنا، ولكن باهلن تأخر في الطريق عمدا، بحيث يضمن لنفسه الوصول الى القصر بعد الفريق الأول. وبعد أن دخل القصر طلب مقابلة وصيفة الامبراطورة، وعهد اليها في أن تخبر مولاتها بما سوف يحدث في تلك الليلة لئلا تفاجأ بالخبر.

لكن بنجسن واصدقاءه لم يحترسوا الى هذا الحد بل أنهم دخلوا القصر وذهبوا مباشرة الى مخدع الامبراطور. وكان اثنان من الخدم نائمين في غرفة واقعة في طريق مخدع بولس الأول، فأرادا منع المتآمرون من الوصول الى القيصر ولكن المتآمرون تغلبوا عليهما، ثم قتلوا حارساً آخر كان في غرفة مجاورة، واقتحموا باب مخدع القيصر.

وشعر بولس الأول بدخولهم، فنهض من سريره واختبأ وراء خزانته، ويقول بعضهم أنه اختبأ في الموقدة، ولكن المتآمرين رأوا قدميه خارجتين من ذلك المخبأ، فاقترب اثنان منهم وارغموه على الخروج من مكانه والجلوس إلى مكتبه والتوقيع على صك التنازل عن العرش لأبنه اسكندر وغير ذلك من الاصلاحات التي كان المتآمرون يطلبونها.

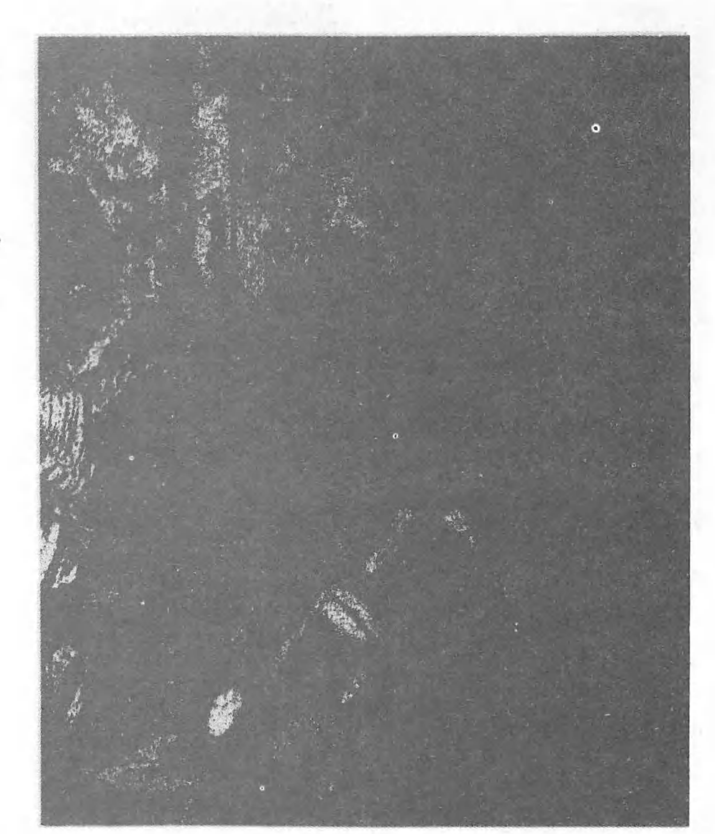
لكنه رفض اجابته الى طلبهم، بل جعل يهددهم بأنه سيقتلهم وينتقم منهم فألحوا عليه، ورأى القيصر نفسه في موقف حرج فصاح يطلب النجدة.

وهذا ما أهلكه، فإن المتآمرين الذين كانوا في باديء الأمر لا يرمون الى قتله، خافوا ان يفلت منهم او يسرع احد إلى انقاذه، فتناول أحدهم دواة كانت على مكتب الامبراطور، وضربه بها ضربة قوية على رأسه القته صريعا. ويقال ان المتآمرين تجمعوا عليه في تلك اللحظة، ومثلوا به اشنع تمثيل.

غير أن اثنين منهم لم يرفعا ايديهما على القيصر ولم يشتركا في جريمة القتل، وهما الجنرال بنجسن، وزوبوف. فإن الجنرال انتقل من حجرة القيصر الى قاعة مجاورة، وجعل يتفرج على الرسوم الفنية التي كانت تملأ جدرانها، قائلا انه يريد اسقاط بولس الأول ولكنه لا يريد قتله. اما بلاثان زوبوف، فإنه اعطى المتآمرين ظهره وجعل ينظر الى الخارج من خلال النافذة وهو يداعب زجاجها بأصابعه ويردد قائلا :

ـ رباه... إن هذا فظيع... إن القيصر يصيح اكثر مما يجب.. إنه مزعج حقا !

ونودي بالأمير اسكندر قيصراً على روسيا بعد اغتيال ابيه بولس الأول باسم اسكندر الأول. وهو الذي اشتهر بحروبه مع نابليون الأول. وقد أمر باضرام النار في عاصمة ملكه الثانية موسكو عندما دخلها نابليون فاتحاً، فأضطر الامبراطور الفرنسي إلى العودة عنها.



رسم يمثل اغتيال قيصر روسيا بولس الأول



كاترين الثانية قيصرة روسيا

نابوليون بونابرت.



في العام ١٩٥٥، استهل طبيب أسنان أسوجي، وهو في الوقت نفسه هاو لعلم السموم، ومن كبار المتحمسين لكل ما يمتّ بصلة إلى الامبراطور الفرنسي نابوليون بونابرت، تحريات واسعة لبرهان ظنه القائل بأن نابوليون مات مسموما عام ١٨٢١ م.

وثابر الطبيب المذكور على ملاحقة المسألة طوال - ٢٣ - سنة، على غرار رجال التحريات الجنائية وكتّاب الروايات البوليسية الكبار. واستخدم احدث الطرائق القضائية والمخبرية لدعم حججه. وكان عليه، باديء الأمر ان يبين أن جريمةالقتل حصلت فعلا، وأن نابوليون لم يمت بسرطان المعدة كما شاع في كتب التاريخ وبين الناس.

وما أن أقام الحجة على ذلك حتى شَرَع يبحث عن الجاني بين افراد حاشية نابوليون الذين رافقوه الى منفاه الأخير في جزيرة القديسة هيلانة وهم:

انتومارش طبيبه الخاص.

دو مونتولون المشرف على مطبخ نابوليون.

- مارشان رئيس الخدم الأمين.

- الكونتيسة دو مونتولون عشيقة نابليون.

- برتران الذي أهمله نابوليون.

ـ غورغو الذي ارتاب في عملية تسميم نابوليون.
ـ لاس كازس الذي أرسل براميل الخمر إلى نابوليون.

غوتبورغ مدينة أسوجية ساحلية ذات نصف مليون نسمة، تشرف على مضيق كاتيفات في الدانمرك على البر الأوربي. وفي احدى ضواحي تلك المدينة يسكن رجل طويل، ناحل، أشقر، اسمه ستين فورشوفود. في خريف ١٩٥٥ كان في مطلع الخمسينات من عمره، وقد وزّع نشاطه بين طبابة الاسنان، وهي المهنة التي كسب عيشه منها، والبحوث البيولوجية. كما كان لديه اهتمام كبير بعلم السموم.

ولم يخفَ على زوار فورشوفود أن اهتماماته كانت تتجاوز اختصاصه العلمي. وكانت غرفة الجلوس في منزله ملأى بالأشياء التي تذكر بالامبراطور الفرنسي.. تلك الأمسيةكان فورد شوفود يطالع مذكرات لوي مارشان، وهو لآخر كتاب ينتشر لشاهد عيان وصف حياة نابوليون على جزيرة القديسةهيلانة. والواقع أن مارشان كتب مذكراته لابنته... وبقيت هذه المذكرات من غير نشر حتى أفرج عنها حفيد مارشان، وهو ولد ابنته الوحيد، في وقت لاحق من هذا القرن. وكان فور شوفود يطالع الجزء الثاني من المذكرات وقد لفظته المطبعة حديثاً.

وفي رأي الطبيب الأسوجي أن سقوط نابوليون ووفاته المبكرة كانا فمن أكبر مآسي التاريخ. وهذا حداه على استطلاع أراء الخبراء وأحكامهم حول موت نابوليون. وما فتيء الأطباء والمؤرخون يقدمون نظرية تلو اخرى، معيدين صياغة تخمينات قديمة بنيت كلها على التشريح الذي تم عقب الوفاة. ووجد فور شوفود تلك النظريات كلها غير مقنعة، ولم يصدق ان نابوليون توفي من جراء السرطان. وراح يقرأ مذكرات مارشان، علّه يعثر فيها على بصيص نور.

ذلك المساءطالع فور شوفود يوميات نابوليون بين شهري كانون الثاني ـ يناير وايار ـ مايو من العام ١٨٢١، أي في الأشهر الأخيرة من حياته. وقد وصف مارشان، على نحو بسيط ومقنع، ما كان نابوليون يفعله ويشعر به يوميا، بما في ذلك وصف المريض نفسه لأعراضه وردود فعله على العقاقير التي كان يتناولها

وعلى الطعام الذي كان يقدم اليه عند كل وقعة.

وما لبث فور شوفود أن وقع على خيط يربط تلك الأحداث بعضها ببعض. ذلك أن نابوليون، في تلك الفترة الأخيرة، كان يترجح بين النعاس والأرق. وتذمر من انتفاخ قدميه. وفيما هو يتأمل تلك الحقائق، تذكر فور شوفود ما يعرفه حول السم. أيعقل أن يكون نابوليون قضى مسموما؟

إذا صحَّ هذا، فالشواهد تشير إلى ان التسمم لم يتم مرة واحدة، بل على مراحل، فحصوله دفعة لابد من ان يكون كشف خلال تشريح الجثة او في شهادات الأشخاص الذين عاينوا الوفاة. إن نظرية التسميم البطيء بالزرنيخ من شأنها الاجابة عن أصعب المسائل المتعلقة بوفاة نابوليون. وإذا كان نابوليون مصاباً حقاً بالسرطان، فهذا يتحتم الهزال الجسدي مع تقدم مراحل المرض. إلا ان الامبراطور اكتسب المزيد من السُّمنة في أيامه الأخيرة. والبدانة ظاهرة شائعة بين ضحايا التسمم بالزرنيخ.

انقضت اربع سنوات على الأمسية التي كوّن فور شوفود قناعته ـ بعد قراءة مذكرات لوي مارشان ـ بأن نابوليون مات مسموماً ولم ينفك خلال تلك السنوات يطالع كل ما ينشر حول نابوليون من مقالات علمية. . وحكايات تاريخية. . علَّ وحيا يهبط عليه. واخيرا جاء الفرج. فقد ظهر مقالان في مجلة اسوجية حول موت الامبراطور، اقنعا فورشوفود بأن حقيقة الأمر، إذا كانت ستظهر يوما، فعلى يديه. ولم يشر أي من الكاتبين الى امكان موت نابوليون بالسم، كما لم يذكر كتاب مارشان الصادر حديثا.

وأخذ فورشوفود يمضي معظم اوقاته الشخصية في مكتبه في الطبقة الثالثة، يعمل على ما سماه «قضية نابوليون» وتراكمت لديه الشواهد. ووضع جنبا الى جنب التقرير الصادر عن لجنة تشريح الجثة وسجل فرنشيسكو آنتومارشي، طبيب نابوليون الخاص، ووصف مارشان اليومي لحال المريض. وعبر مقارنة هذه الشواهد بعضها ببعض، تبين له ان اثنين وعشرين عرضاً على الأقل ظهرت لدى نابوليون في ايامه الأخيرة، من أصل ٣٢ عرضاً يحدثها التسمم بالزرنيخ.

إلاّ أن فورشوفود كان يفتقر الى الشواهد المادية الملموسة. والبرهان

الوحيد لا يأتي الا عن طريق فحص الـرفات. غـير ان جثة نـابوليـون نقلت الى باريس بعد ١٩ سنة من وفاته، وهي الآن في ضريح الـ « انفاليد » تحت ٣٥ طناً من خجار الرخام البراقة.

لكن ثمـة أمرا آخـر ممكنا، هـو فحص شعر نـابوليـون. تلك الأيـام كـان المشاهير يهدون خصلا من شعرهم تذكارا الى من يحبون. والمعروف عن نابوليون انه قدم خصلا كثيرة من شعره. والشعر يظهر ما يحتوي عليه الجسم من زرنيخ.

وهنـاك طريقـة لتحليل الشعـر اعتمدت طـوال عقود من السنـين. لكنهـا تقتضي كمية كبيرة نسبيا من الشعر، وهي خمسة غرامـات، أي ما يعـادل خمسة الاف شعـرة قصيرة. ولكن انى لـطبيب الأسنان الاسـوجي ان يحصل عـلى هذه الكمية ؟ أليس هذا مستحيلا كرفع ٣٥ طناً من المرمر عن ضريح الامبراطور ؟

إلا ان ضـربة الحظ اصـابت فورشـوفود في تشـرين الثاني - نـوفمبر ١٩٥٩، عندما وجد في مكتبة غوتبورغ، نسخـة من مجلة « الكيمياء التحليليـة » تحوي وصفا لـطريقة حـديثة لكشف نسبـة الزرنيـخ في الشعر، بنـاء على تحليـل شعرة واحدة. ومبتكـر الطريقـة هو الـدكتور هـاملتون سميث، احـد العلماء في دائرة الطب الشرعي في جامعة غلاسكو الاسكوتلندية.

وعلى الفور كتب فورشوفود رسالة الى الأمير نـابوليـون، الوارث الحـالي في سلالة الامبراطور. واجابه هذا داعيـاً ايـاه الى طرح الاسئلة التي يـريدهـا. وفي شهر ايار - مايو ١٩٦٠ سافر فورشوفود الى باريس ترافقه زوجته.

وما أن وطىء أرض العاصمة الفرنسية حتى خابر الأمير. . . وبعـد بضعة ايام اتضح ان سليل الامبراطـور لا يريـد رؤ يته. . . عنـدئذ اتصـل فورشـوفود بالكومنـدان هنري لاشـوك، وهو خبـير بارز في الشؤ ون المتعلقـة بالامبـراطور، وعضو سابق في مجلس ادارة المتحف العسكـري في الـ « انفاليـد » واحد منقحي مذكرات مارشان. . . وفي منزل الكومندان في منطقة مونمارتر الباريسية، عـرض فورشوفود نظريته، ووصف طريقةهاملتون سميث في تحري الزرنيخ وانهى كلامه قـائلا : هـذا ما جـاء بي اليكم. اني ابحث عن شعـرة من رأس الامبـراطـور ! فوافق لاشوك على تقديم شعرة واحدة. . .

بعد عودته من باريس إلى اسوج (السويد) خابر فورشوفود هاملتون سميث في غلاسكو وطلب منه فحص شعرة رأس بطريقته، من دون اعطائه أي معلومات أخرى. ووافق سميث من غير أن يطرح اسئلة هو الآخر. وغلف فورشوفود الشعرة بعناية وارسلها الى اسكوتلندا في البريد المضمون. وفي تموز ـ يوليو ١٩٦٠، وصله الجواب الآتي :

« هذا النموذج يحوي ١٠,٣٨ ميكروغرام من الزرنيخ في الغرام الواحد من الشعر، مما يعني ان صاحبه كان عرضة لكميات كبيرة من الزرنيخ ».

إن كمية الزرنيخ الطبيعية في شعر الانسانهي نحو ٠,٨ في المليون. اما شعر نابوليون عند وفاته فكان يحوي ١٣ ضعف هذه الكمية.... أجل، ثمة عمل كبير ينبغي انجازه. فهناك حاجة الى المزيد من الشعر والمزيد من الاختبارات. يضاف الى ذلك الكلام الى هاملتون سميث وجها لوجه.

وطار فورشوفود الى غلاسكو في آب ـ اغسطس. وبعد جولة في مختبر سميث، جلس الاثنان امام كوبين من الشاي، فيما راح سميث يشرح طريقته... وكان لدى هاملتون سميث سؤال واحد يطرحه على ضيفه : هل لك ان تخبرني عن اسم الضحية ؟

وأجاب فورشوفود بهدوء : هذا الشعر هو للامبراطور نابوليون الأول ! ويتذكر فورشوفود لاحقاً أن وجه سميث ابيضّ لدى سماعه الجواب، بل اصبح باهتاً كجثة. وطرأ على ذهن فورشوفود ان سميث كان يفكر في امكان عزو الجريمة الى الانكليز ! افلا يغتاظ بريطاني من غريب يلقي تهمة قتل على عتبة داره ! ومن أجل طمأنة مضيفة، قال فورشوفود : إني على ثقة بأن الانكليز لم يرتكبوا تلك الجريمة ؟

وما أن سمع سميث ذلك حتى ثارت ثائرته.. وصرخ قائلا : هل تظن ان ذلك يهمني ؟ ما شأني بالانكليز انا الاسكوتلندي ؟ وعلى الاثر انفجر الاثنان بالضحك...

وحان دور فورشوفود ليطرح سؤالا : ايمكن ان يكون الزرنيخ جاء نتيجة تلوث من مصدر خارجي ؟ اذ ذاك تكلم سميث قائلا بان المسألة تحتاج الى

نماذج اخرى من شعر الامبراطور. وخيل الى فورشوفود ان « لاشوك » الذي امده بشعرة سابقا، لابد من ان يهب لنجدته الآن غير أن لاشوك رفض مساعدته لئلا يقال ان بطل فرنسا قضى عليه واحد من قومه، الأمر الذي لا يروق للفرنسيين التفكير فيه.

ووجد فورشوفود نفسه مرغما على نشر نظريته وإن كانت ناقصة، عله يجد من يكملها في ارض الله الواسعة. ذلك أن عشرات الخصل من شعر نابوليون تم اهداؤ ها خلال حياته وبعد وفاته. ولابد من ان يوجد بين مالكي تلك الخصل الحاليين من هو مستعد للتضحية ببعض ما يملك اكراما للعلم والتاريخ.

اشترك فورشوفود، وهاملتون سميث، واندريس فاسن، وهو عالم سموم اسوجي، في كتابة مقال يصف الاختبار الذي اجراه سميث. ونشر هذا المقال في عدد ١٤ تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩٦١ من المجلة العلمية البريطانية (الطبيعة) مع ذكر اسم نابوليون صراحة. وجاءت ردود الفعل الأولى من خبراء الدراسات النابولونية الذين رفضوا النظرية جملة وتفصيلا. وهذا عين ما كان يتوقعه فورشوفود.

وبعد أسبوعين من صدور المقال، تلقى فورشوفود مخابرة من صاحب معمل نسيج سويسري اسمه كيلفورد فراي، قال انه يملك خصلة من شعر نابوليون تحوي خمسين شعرة، وانها كانت في الأساس خاصة جان ابرهام نوفيراز، الخادم الذي قص شعر الامبراطور في اليوم التالي لوفاته. وعبر فاري عن رغبته في تقديم كمية من ذلك الشعر لاجراءالاختبارعليها، وتولى بنفسه ارسالها الى غلاسكو.

وفيما كان فورشوفود ينتظر تقرير سميث، وضع وصفا مفصلا للأشهر السبعة الأخيرة من حياة نابوليون بين اواخر ايلول ـ سبتمبر ١٨٢٠ ويوم وفاته ٥ ايار ـ مايو ١٨٢١. ودوّن جميع الأعراض الصحية التي شكا منها الامبراطور نقلا عن شهادات الدكتور آنتومارشي، ومارشان، وشخص ثالث. وبلغ طول الورقة التي سجل عليها فورشوفود تلك الملاحظات مترا.

ووصل تقرير سميث في مطلع كانون الأول ـ ديسمبر. وكان سحب من

الخصلة عشرين شعرة، اجرى على بعضها اختباره القديم الذي يقيس كمية الزرنيخ الاجمالية. وتبين ان تلك الشعرات تحوي نسبة من الزرنيخ تراوح بين ٣,٢٧ و٣,٧٥ في المليون، أي بزيادة اربعة الى خمسة اضعاف على كمية الزرنيخ الطبيعية في شعر الانسان. كما نجحت محاولة فورشوفود لتعزيز شواهده اذ تلقى، بعد وقت قصير، رسالة من المؤلفة الاوسترالية السيدة مابل بروكس، وكانت مابل طالعت المقال المنشور في مجلة (الطبيعة). كما كانت تملك خصلة من شعر نابوليون، وقررت ارسال نموذج منها الى غلاسكو. . . وتولى سميث تحليل النموذج الجديد فاكتشف الزرنيخ به، وهذا برهان اضافي على التسميم المتعمد.

طوال فترة تجرباته ودراساته ووجه فورشوفود بالكثير من الاسئلة الحادة التي تتحدى نظريته. وقد جاء بعض تلك الاسئلة من المشككين وبعضها الآخر منه هو. ولدى اثبات نظريته عام ١٩٧٤، حول وفاة نابوليون، بات مستعدا للاجابة عن تلك الاسئلة بالكثير من اليقين.

س : إن نقادك اثاروا شكوكا حول مصدر الشعر. فكيف نعلم حقا أن الشعرات التي تم تحليلها كانت من رأس الامبراطور ؟

ج : نحن نعرف ذلك من لون الشعر والشبه بين النماذج واحتوائها جميعاً على الزرنيخ. وهذه النماذج جميعاً تلائم الوصف الذي نعرفه لشعر الامبراطور. ولئن يكن هذا يدلنا على أن صاحب الشعر واحد لكنه ليس بالضرورة لنابليون. فمن حقنا أن نتساءل كيف وصلت تلك النماذج إلى أيدي أناس لا يعرف بعضهم بعضاً.

س : لماذا استغرقت عملية التسميم ذلك الوقت كله، ولم يتم قتل نابوليون بجرعة واحدة ؟

ج : من أجل فهم ما حصل علينا أن نعرف ما الذي كان يخشاه آل البوربون. لا شك في انهم كانوا يحسبون حسابا كبيرا لنابوليون. . ولكن لنفترض ان الكونت دارتوا ولي عهد سلالة البوربون، أوعز الى مجرم بدس السم للامبراطور السابق للقضاء عليه مرة واحدة.

هذا من شأنه طرح مسألة التسميم كأمر واقع وتشريح الجثة بناء على هـذه الفرضيـة، وإذ ذاك يكشف وجود الـزرنيـخ. إلا ان هـذا قـد يؤدي الى قيام ثورة شعبيـة عارمـة ضد آل البـوربون لـدى وصول الاخبـار الى فرنسـا. . . ثورة من شـأنها ان تقضي على حكمهم الى الأبـد. ومن الضروري اذا تسميم الضحيـة على مـراحل لكي تبـدو الوفاة امرا طبيعياً. ومن حسنات التسميم البطيء ايضا انه يحد من نشاط نابوليون.

س : الدكتور انتومارشي طبيب نابوليـون، هو الـذي اجرى التشـريح. والقتل بهذه الطريقة كان شائعا جدا آنذاك. فلماذا لم يطرح ذلك الامكان ؟

ج : يجب الا ننسى التمييـز بـين التسمم المـزمن وغـير الحـاد بـالـزرنيـخ والتسمم الفـوري الحـاد بهـذه المـادة. والنــوع الـذي تعـرض لـه الامبراطور، ذو نتائج لم يكن الأطباء يعرفـونها تمامـا آنذاك. والحق انها لم تعرف جيدا قبل العام ١٩٣٠ .

بعـد الاجابـة على تلك الاسئلة جميعـا، بات فـورشـوفـود عـلى استعـداد للكشف عن هوية المجرم؛ فكان مونتولون الذي ظهـر مع حـاشية نـابوليـون في اعقاب معركة واترلو، كمسؤول عن مخدع الامبراطور. ترى ما الـذي حدا ذاك الشاب المحب للمتعة على خدمة قصية خاسرة ؟ ما الذي يفسر حماستـه للذهاب الى جزيرة القديسة هيـلانة ؟ لمـاذا ارتضى ترك مبـاهج الحيـاة في فرنسـا، حيث تحكم جماعته، ليمضي اجمل سني حياته فوق جـزيرة نـائية في خدمة شخصين لا يعني له شيئا ؟

وأتبع فورشوفود تحرياته بدراسة سلوك مونتـولون في الجـزيرة. لقـد رفض التدخل في علاقة زوجتـه مع نـابليون. . . ولم يجـد فورشـوفود في ذلـك السلوك الغريب سوى أمر واحد، وهـو أن مونتـولون ارسـل بمهمة اغتيـال الامبراطـور. والمؤكد ان الكونت دارتوا « الملك شارل العاشر » هو الذي اعـطى الأمر. فقـد كان مونتولون مدير مستودع الخمور في منزل الامبراطـور في المنفى. ومن السهل

عليه ان يلقي مونتولون الزرنيخ في البرميل نفسه قبل تفريغه بالزجاجات. وهذا سهل واكثر قصاء للشبهات من دس السم في الطعام، الذي يجب ان يحصل كل مرة بمفردها. اما وضع الزرنيخ في البرميل فيعني تسميم الامبراطور طوال الاسابيع والأشهر اللاحقة. وقد تم التسميم ببطء لأن نابوليون لم يكن مفرطاً في احتساء الخمرة. ومرة اهدى الامبراطور زجاجة من خمره الخاصة الى غورغو، فشكا هذه الاعراض نفسها التي كانت تصيب الامبراطور.

وتجدر الاشارة الى أن جثمان نابوليون لم يحنط، لكنه وضع بعد تشريحه ضمن نعوش اربعة، بينها نعشان معدنيان. ووقف العمال يفتحونها واحداً بعد آخر - بمناسبة نقل رفاته الى باريس - ولدى فتح النعش الأخير توقع الحضور أن يروا هيكلا عظيما ؟!

إلّا أن جثمان نابوليون كان محفوظا بالتمام، وبدا صاحبه كأنه نائم. وفي تلك السنوات التسع عشرة، كان التغيير الذي طرأ على وجهه اقل كثيرا من ذاك الذي طرأ على وجوه الناظرين اليه. اما التفسير الذي اعطاه فورشوفود لتلك المعجزة الظاهرية فكان الزرنيخ. ذلك ان الزرنيخ القاتل يحفظ انسجة الجسم من التلف بعد الرفاة. والمتاحف تستخدمه لحفظ البقايا الأثرية لديها. وتحلل الجثة البشرية يتم ببطء شديد إذا كان صاحبها عرضة للتسمم البطيء المزمن بالزرنيخ.

والنتيجة الأخيرة التي استمدها فورشوفود، كانت ان جثة نابوليون نفسها شهدت بصمت على جريمة قتله[1].

* * *

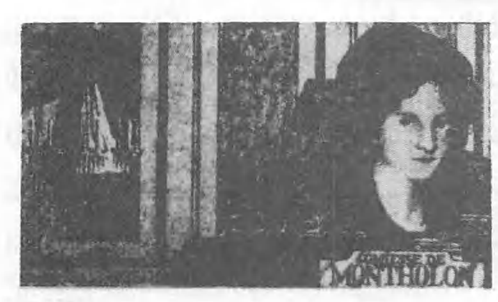
ذكر لي السيد هيثم الكواكبي، حفيد المفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي، ان جثمان جده حين نقل الى ضريحه الجديد، بعد مرور عشرين سنة

(١) من قتل نابليون بونابرت، بقلم بن وايدر وديفيد هابفود، نقلاً عن المختار من ريدرز دايجست، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢.

على وفاته، اكتشف الحضور ان جثة عبد الرحمن الكواكبي ما تزال سليمة ؟! وهذا يؤكد انه مات مسموما بالزرنيخ ! بأمر من السلطان العثماني[٢].

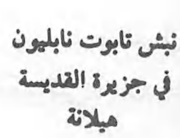


الامبراطور يحتضر



عشيقة الامبراطور السرية



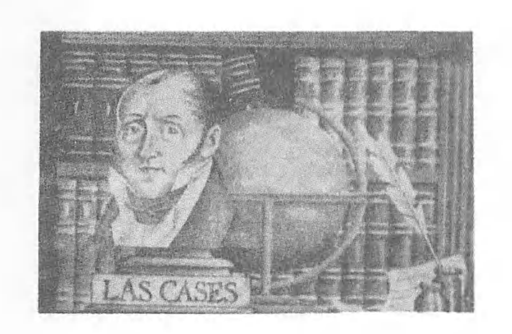


نبش تابوت نابليون في جزيرة القديسة هيلانة

---

(٢) للتوسع انظر الجزء الأول من أشهر الاغتيالات السياسية في العالم.













القاتل بين أفراد هذه المجموعة

جيمس غارفيلد

في صباح الثاني من تموز - يوليو سنة ١٨٨١، نهض الرئيس الامريكي جيمس غارفيلد باكراً، وكله شوق لقضاء العطلة التي كان قد خطط لها.

وكان بادي السرور والانشراح، عندما دخل مع رفاقه محطة السكة الحديدية، بعد التاسعة صباحا بقليل. وفيما هو يسير عبر قاعة الانتظار باتجاه القطار، ولم يكن هناك الا عدد قليل من الناس، كان احدهم ويدعى شارل غيتو، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، مصاب بمرض انفصام الشخصية، وقف بملابسه الأنيقة خلف أحد المقاعد في قاعة الانتظار، وقد أنزل قبعته العريضة الاطراف فوق عينيه، على غرار الفارين من العدالة في الأفلام التلفزيونية. وكان يحمل مسدسا انكليزيا من نوع بولدوغ، من عيار ٤٤، فيه خمس رصاصات. وقد سار بكل هدوء نحو الرئيس، آتياً من الوراء، وافرغ في جسده رصاصتين. وبسط الرئيس يديه وتمتم: (رباه ما هذا) !؟ ثم سقط ارضا مضرجاً بدمائه. والقي القبض على القاتل غيتو.

ولم يكن جهاز اشعة) X (ايكس) قد اخترع بعد، فكان على الجراح ان يبحث عن الرصاصتين ويحزر مكانهما بالضبط من الجسد. لكنه من سوء الطالع ان المجري الذي تحدثه الرصاصة يتغير احيانا. وتلك كانت حالة الرصاصة القاتلة التي دخلت جسد غارفيلد، والتي اخطأ الجراح مكانها مرارا. ولكن

غارفيلد تمكن من البقاء على قيد الحياة، مع ذلك، حوالي ثلاثة أشهر[1]. وقد توفي ليل ١٩ ايلول - سبتمبر.

(١) مجلة سير «Sir» الأمريكية، بقلم: الصحافي الأمريكي ديووين ديكر، المجلد التاسع عشر، تشرين الأول ١٩٦٢، ترجمة سمير شيخاني، وقد نشرها في كتابه التاريخ الصغير.



ويليام ماك كنلي

سجل ويليام ماك كنلي فوزا باهرا على خصمه ويليام دجيننغر برايان في انتخابات سنة ١٩٠٠، إلّا أن سوء طالعه لم يلبث أن ضربه في بافالو، في ولاية نيويورك، عندما كان يقوم بزيارة المعرض الامريكي. وكان الوقت بعد ظهر السادس من ايلول - سبتمبر ١٩٠١، وقد بدا في معطفه الأسود الرسمي، وربطة العنق السوداء، والسترة البيضاء، والبنطلون الاسود، كأنه مشترك في تشييع جنازة. وكان الحشد في تلك المرة غفيرا، وكان بين الجماهير، ليون ف. تشولفوش، وهو فوضوي، مختل العقل، ولكنه ماهر في الرماية. وانضم الى صف الذين وقفوا ينتظرون دورهم لمصافحة الرئيس. وقد لف يده اليمنى بمنديل ليخفي المسدس الذي يحمله بها، وكان من عيار ٣٢، وماسورته قصيرة...

وتعالت نبرات الارغن تحمل الحان الموسيقار العالمي (باخ) الرائعة في اجواء المكان، فيما واجه تشولفوش اخيراً هدفه. فأطلق رصاصتين من مسافة قريبة جدا، بحيث ان البارود حرق سترة الرئيس البيضاء.

واجتاحت ملامح الرئيس دهشة مذعورة، عندما مسته الرصاصتان. وارتجف.. ثم وقف على قدميه، اخيرا تهالك بين ذراعي سكرتيره. والقى رجال الأمن السريون والشرطة القبض على تشولفوش.

وتمكن احد الجراحين من استخراج رصاصة من جذع ماك كنلي الأعلى،

بعد عمل جراحي استمر ما يزيد عن ساعة. ولكنه لم يعش سوى ثمانية ايام بعد العملية. وبعد لحق بزميليه : غارفيلد؛ ولنكولن[1].



سنة ١٩٢٠ :
انتخب هاردنغ توفي بنوبة قلبية.



سنة ١٨٤٠ :
انتخب هاريسون توفي بداء ذات الرئة.



سنة ١٨٦٠ :
انتخب لنكولن اغتيل فيما بعد.



سنة ١٩٤٠ :
انتخب فرنكلين روزفلت توفي بنزف في الدماغ.

---

(١) التاريخ الصغير، سمير شيخاني، ص ٢١٥ - ٢١٦.

سخرية قدر لنكولن وجون كنيدي
أو التاريخ يعيد نفسه !

أشهر المصادفات الخارقة تتعلق حتما برئيسي جمهورية امريكا : « لنكولن » و« كنيدي » !؟

انتخب لنكولن رئيس الولايات المتحدة في عام ١٨٦٠، وانتُخب كنيدي في عام ١٩٦٠ !!

وكل منهما قتل بحضور زوجته !

وكل منهما صرعته رصاصة في رأسه انطلقت من ورائه !

وخَلَفَ كل منهما نائبه المدعو « جونسون ». وكل من هذين الخَلَفين اختاره الحزب الديمقراطي من جنوب الولايات المتحدة. وكل من الخَلَفين عضو في مجلس الشيوخ.

اندرو جونسون (خَلَفَ لنكولن) ولد في عام ١٨٠٨، ولندون جونسون (خَلَفَ كنيدي) ولد في عام ١٩٠٨.

جون ولكس بوث (قاتل لنكولن) ولد في عام ١٨٣٩، و« لي هارفي اوزوالد » (قاتل كنيدي) ولد في العام ١٩٣٩.

بوث واوزوالد قتل كل منهما قبل ان تتم محاكمته.

زوجة كل من الرئيسين، فقدت ولدا وهي تسكن البيت الأبيض.

أمين سر الرئيس لنكولن، واسمه كنيدي، نصحه بأن لا يذهب الى

المسرح حيث اغتيل. وأمين سر الرئيس كنيدي، واسمه لنكولن، نصحه بأن لا يسافر الى دالاس !!

صرع جون ويلكس بوث الرئيس لنكولن في مسرح وهرب الى مخزن بينما لي هارفي اوزوالد أطلق الرصاص على الرئيس كنيدي من مخزن وهرب إلى أحد المسارح !

جميع هذه المصادفات المذهلة، لا سبيل للشك في صحتها، وهي سهلة التدقيق، فهل لهذه الظواهر الخارقة من معنى، كما يفكر اختصاصيو علم ما وراء النفس !؟ ام هي مجرد مصادفات عمياء بلهاء ليس إلاّ . . . . .-ولا أي فحوى او معنى لها[1].



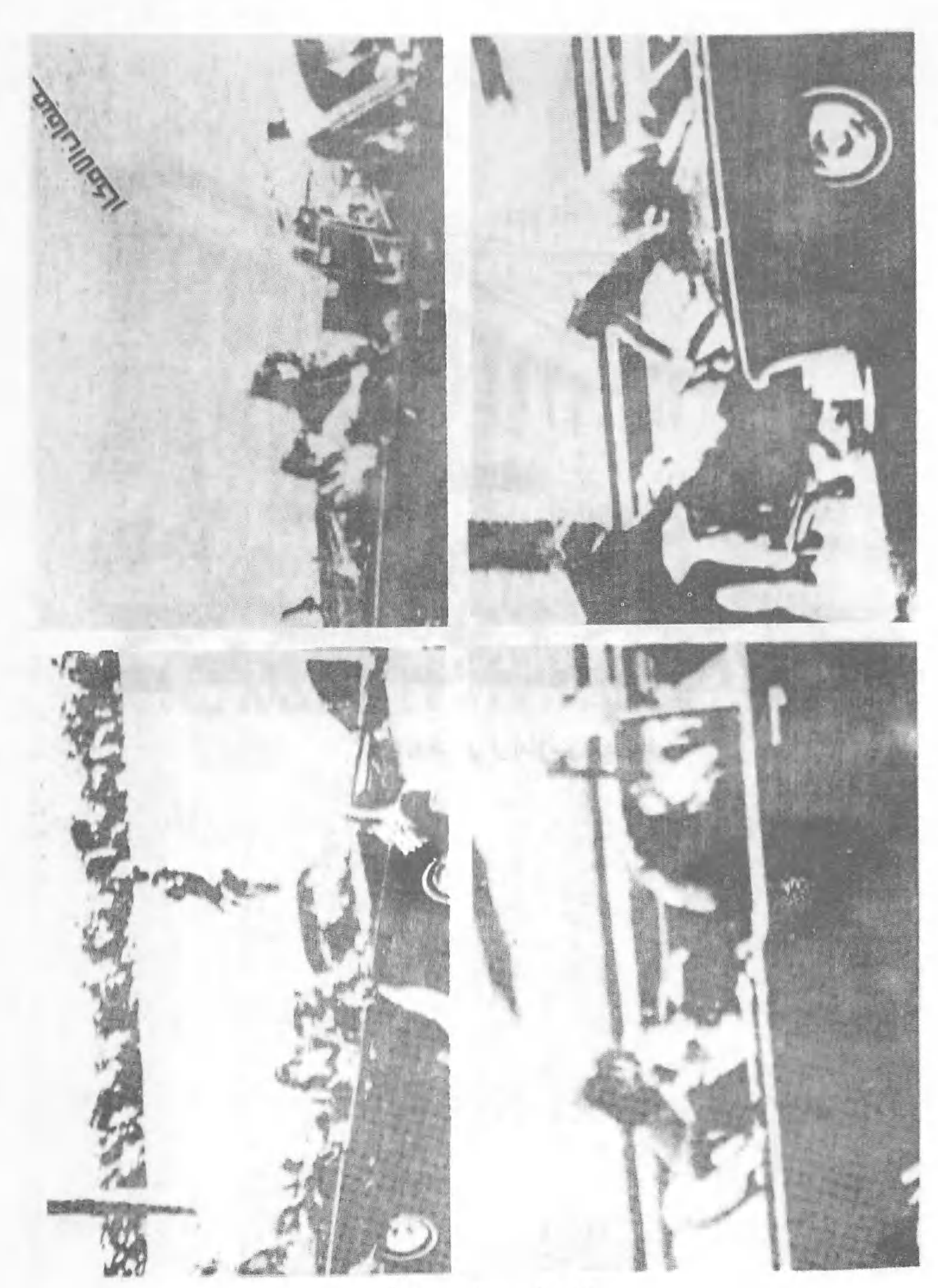
سنة ١٩٦٠ :
انتخب كنيدي ومات اغتيالاً



سنة ١٩٨٠ :
انتخب ريغان (محاولة اغتيال).

---

(١) ألغاز من عالمنا، اندره كسبار، تعريب أنطوان رزق الله مشاطي، منشورات المكتبة الشرقية بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٧٣ - ١٧٥.



جريمة اغتيال جون كنيدي في أربع صور



جنازة كنيدي تمر أمام مبنى الكابيتول



بكى في احضان
زوجته جاكلين !!

حين اصبح العالم كله على شفير الحرب النووية نتيجة للحصار الاميركي حول كوبا ، وتوجه الغواصات الذرية السوفييتية إلى الشواطىء الكوبية ، دفن جون كنيدي راسه في احضان زوجته جاكلين وبكى قائلاً : انها اصعب لحظات في حياتي يا جاكي !


○ المخابرات المركزية اقفلت
بموت كنيدي ملف قصة حب
عاصف مع الممثلة
مارلين مونرو



محمود شوكت

محمود شوكت « باشا »ابن سليمان ، ولد عام ١٨٥٨ .قائد عراقي ، ولي رياسة الوزراءفي الدولة العثمانية ، وعلت له شهرة في حركة الدستور العثماني .

ولد في بغداد وكان ابوه « متصرفا » في المنتفق ، فتعلم بها ثم بالمدرسة الحربية في الاستانة . وتقدم في المناصب العسكرية الى ان اعطي لقب (لواء) وعين واليا لقوصوه ، فقائداً للفيلق الثالث بسلانيك . وكان من اعضاء جمعية (تركيا الفتاة) السرية ، وهدفها في ذلك العهد القضاء على استبداد السلطان عبد الحميد الثاني . ونجحت الجمعية في اعلان « الدستور »وقامت على اثره فتنة الرجعيين » في نيسان (ابريل) ١٩٠٨ ، فزحف محمود شوكت بفيلقه من سلانيك على العاصمة (الأستانة)فدخلها عنوة بعد يومين . وخلع السلطان عبد الحميد ، وولي محمد رشاد، وتألفت وزارة كان محمود شوكت وزير الحربية فيها ، ثم اسندت اليه الصدارة العظمى (رياسة الوزراء) واشتدت في ايامه وما قبلها سيطرة الاتحاديين ، وهم المظهر العلني لتركيا الفتاة ، وجاهروا بسياسة «تتريك العناصر » . ولم يكن محمود شوكت (وهو جركسي الاصل ، عربي المنبت) من انصارهم في تلك السياسة . وقتل اغتيالا عام ١٩١٣ أمام وزارة الحربية في استنبول[١] .

---

(١) الأعلام، المجلد السابع، ص ١٧٤ .



روزا لوكسمبرج

ولدت ببولندا الروسية في ٢٥ ايلول (ديسمبر) من عام ١٨٧٠ ، وحوالي عام ١٨٩٥ هاجرت الى المانيا وتزوجت عاملا من أبناء هذا البلد حتى تكتسب الجنسية الألمانية . وبعد ذلك بسنوات ثلاث تولت تحرير احدى المجلات السكسونية، ولكن مالبثت ان انضمت الى هيئة تحرير مجلة أخرى تصدر في ليبزج . واشتركت روزا لوكسمبورج في الثورة الروسية التي نشبت في عام ١٩٠٥ ، وعند عودتها الى ألمانيا أنشأت مع كارل ليبنشت « عصبة سبارتاكوس » .

وفي عام ١٩١٤ اتهمت بالتحريض على التمرد وحكم عليها بالسجن مدة سنة ، ولكنها ظلت طيلة الحرب العالمية الأولى تحت المراقبة . ولما اندلعت ثورة المانيا عند انتهاء الحرب اشتركت مع ليبنشت في اصدار صحيفة . واعتقلت السلطات الاثنين في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩١٥ ، بتهمة التحريض على القيام بأعمال الشغب في شوارع برلين ، والتي كانت قد وقعت قبل ذلك بأيام قلائل . . .

وفي اثناء نقلهما الى السجن عام ١٩١٩ هاجمها فريق من ضباط الجيش ، فقتل ليبنشت ، أما روزا فماتت بعد ذلك بساعات قلائل متأثرة بجراحها ، وألقيت جثتها في ساقية الى أن اكتشفت بعد ذلك بأيام .

وبغض النظر عن نشاطات روزا لوكسمبرج السياسية فإن إسهامها النظري اتخذ صورة البحث الناقد لنواح معينة من نظرية ماركس في العملية الرأسمالية ، الى جانب محاولتها تقديم تفسير اقتصادي للطريقة التي ينتشر بها رأس المال الصناعي الى الأقاليم المتأخرة . هذا الموضوع تناولته المدرسة الماركسية النمسوية . ولكن اهتمام روزا كان منصبا على بيان الكيفية التي نجحت بها الرأسمالية في تفادي الانهيار المحتوم ، وهذا ماجعلها لآرائها أهمية فيما بعد ، واستبقت المناقشات التي دارت حول الموضوع في الثلاثينات من هذا القرن .

إن النقطتين المتلازمتين في تحليلها وهما تكوين رأس المال في نظام « مغلق » وتوسع رأس المال وانتشاره الى الأقاليم التي تعيش في الظروف السابقة على قيام الصناعة ، لها أهمية واضحة بالنسبة الى اية نظرية تحاول تفسيرها جهاز النمو الاقتصادي سواء كانت نظرية ليبرالية أم اشتراكية .

ولكن الأهمية المباشرة لنظرية روزا التي وضعتها في عام ١٩١٣ ، كانت تتمثل في مجال آخر ، عندما أظهرت أن تكوين رأس المال مستحيل في نظام مغلق ، وان الرأسمالية لاتستطيع الاحتفاظ بسيرها وتفادي انهيارها بطريقة تقتصر على تفسير ظاهرة الامبريالية ، وهي ظاهرة مؤقته ، وانما وضعت لهذه العملية حدا تاريخيا . إذْ نظراً لأن القطاع غير الرأسمالي من الاقتصاد العالمي كان آخذا في الانكماش بصورة مضطردة ، لهذا يقترب الوقت الذي يضعف فيه التجميع الرأسمالي .

ومعنى هذا ان التوسع الرأسمالي ، كان يقوض الأسس التي يقوم عليها ، وبهذا أصبح انهيار النظام حقيقة تاريخية مؤكدة .

هذه النظرية عارضها « باور » وغيره ، وبالاستناد الى ماركس مثلما فعلت روزا لوكسمبورج ، وبينوا ان في امكان التجميع الرأسسمالي ان يبقى على نفسه بنفسه ، في ظل ظروف معينة ، ولكنها اعتبرت مثل هذا الرأي خطراً على الاشتراكية ، وخاطئا في الوقت نفسه من الناحية النظرية .

ومهما كان الجدل الذي دار في عصرها ، وبغض النظر عن الانتقادات التي وجهت الى تحليلها ، فلا شك اننا لو أسقطنا منه نظريتها في هذا الانهيار الآلي ، فإنه سليم فيما يتعلق بتفسير ظاهرة الامبريالية الاقتصادية ، كما يصدق هذا الحكم نفسه على النقد المر الذي وجهته الى الاستعمار الأوروبي اذ اعتبرته مسؤولا عن التفكك الذي اصاب مجتمعات الفلاحين البدائية في اسيا وافريقيا .

ومما له أهميةِ أيضاً ما أكدته روزا من أن السياسة العسكرية والبحرية التي اشتدت حدتها في السنوات السابقة على الحرب العالمية الأولى، كانت لها وظيفة تتصل بإبقاء على النظام الرأسمالي.

هذا في المجال النظري ، اما من ناحية النشاط العملي ، فقد تركز عند روزا في مجالات ثلاثة رئيسية هي :

- الحركة الاشتراكية الديمقراطية الألمانية .
- الحركة الاشتراكية البولندية ، وفيها اتخذت الموقف المعادي لفكرة القومية فجلبت على نفسها السخط .
- ثم ان الحركة الثورية الروسية ،وفيها كانت تؤيد المنشفيك او على الأقل تلك المجموعة منهم ذات النزعة الدولية ، والتي كان يتزعمها مارتوف ، كما تزعمها تروتسكي من حين لآخر[١] .

---

(١) موسوعة الهلال الاشتراكية، مجموعةمن المؤلفين، مراجعة كامل زهيري، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٢.



كارل ليبنشت

زعيم بارز وشهيد من شهداء الاشتراكية الألمانية . ولد عام ١٨٧١ ، وهو ابن بار لأب ألماني هو وليم ليبنشت (١٨٢٦ - ١٩٠٠) . وهو مؤسس عصبة سبارتكوس التي أصبحت نواة الحزب الشيوعي الألماني . وقد بدأ كارل نضاله الثوري من اجل قضية الطبقة العاملة الألمانية والاشتراكية بالانضمام الى الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني ، وانتخب عضواً في الرايستاغ (البرلمان الألماني) ، حيث عارض بشدة الاعتمادات العسكرية في حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٧ ، ولم يكتف بهذه المعارضة الألمانية ضد الحرب ، وانما قاد المظاهرات ثم كون عصبة سبارتكوس لكي تقود مقاومة فعالة ضد اشتراك الشعب الألماني في الحرب الاستعمارية الهادفة الى إعادة تقسيم اسواق المستعمرات

وفي اول ايار (مايو) من عام ١٩١٦ ، قبض عليه وهو يقود مظاهرات عمالية ضد الحرب ، وسجن حتى عام ١٩١٨ ، عندما أفرج عنه وعرض عليه دخول الحكومة الاشتراكية الديمقراطية التي الفها ايبرت وشايدمان .

وفي شباط (فبراير) عام ١٩١٩ ، تزعم الحركة الثورية الاشتراكية الألمانية مع روزا لوكسمبورج فقبض عليه وقتل[١] .

---

(١) موسوعة الهلال الاشتراكية، ص ٤٥٤ .



اميليانو زاباتا

ثوري مكسيكي ولد عام ١٨٧٧ ، عمل طويلا ضد التسلط الديكتاتوري الارهابي الذي توالى على المكسيك في فترة حياته . وقد لجأ الى الثورة للسيطره على منطقة « موريلوس » وللقضاء على الاقطاع وتوزيع الأراضي على الفلاحين . كذلك انشأ في تلك المنطقة المدارس ، وقدم الخدمات الاجتماعية للفقراء ، فذاع صيته والتفت الجماهير الفلاحية حوله . . . إلّا أن قوات الحكومة تمكنت من نصب كمين له واغتياله في نيسان « أبريل » من عام ١٩١٩ (١) .

وتجدر الاشارة الى ان السينما قدمت فيلما عن حياة زاباتا ، وكان من بطولة النجمة الفرنسية بريجيت باردو .

ولم يكن القضاء على زاباتا وثورته أمرا سهلا لولا الخديعة التي لجأ اليها الكولونيل غواهاردو للتخلص من هذا القائد الثائر . وفي تفاصيل المؤامرة أن الكولونيل غواهاردو ، وهو أحد القادة التابعين لكارنزا ، خصم زاباتا العنيد ، جاءه منذ مدة وطلب اليه الالتحاق به ، فأبى زاباتا ذلك حذرا ، وطلب اليه كدلالة على حسن نيته ، ان يحتل احدى القرى التي كان يعسكر فيها جماعة

---

(١) للتوسع انظر بانشو فيلا .

كارنزا ، ولانتزاع ثقة زاباتا انطلق غواهـاردو على رأس قـواته وأبـدى الكثير من الاندفاع والحماسة بحيث احتـل القريـة بسرعـة ، فأعلن زابـاتا رضـاه واستقبل غواهاردو في عداد قواته .

ودعا هذا القائد المنشق زاباتا لـزيارتـه في احدى مـزارعه ، فقبـل الدعـوة مـزهوا ، ولمـا وصل الى المـزرعة ابصـر سرايـا عسكريـة بكامـل لباسهـا الخاص بالعرض ، وقد اصطفت في فناء المزرعة . فتمتم بينه وبـين نفسه مبـديا رضـاه العارم . . وما ان بدا أمام الجنود حتى تأهب هؤلاء ، بينما راحت الأبواق تعزف لحنا عسكريا . واذ راح زاباتـا يتقدم نحـو احدى السـرايا ، ، شـرعت هذه في القيـام بمناورة غـريبة ، وبـلا أي أمر صـادر اليها ، رفـع جنـودهـا بنـادقهم الى اكتافهم . وفهم زاباتـا كل شي بعـد فوات الأوان . فقـد انطلقت رشقـة ناريـة كثيفـة ، وانهار الجنرال أرضـا ، وقد اختـرقت الرصـاصات جسـده . . وقـامت السلطات بعرض جثمانه الممزق بالرصاص في الساحة العـامة في مـدينة كـووتلا لاقناع أنصاره بحقيقة موته [٢] .

---

(١) الكفـاح العـربي، العـدد ٣٩٧، ١٩٨٦/٢/٢٧ .



الكون

مصرع الزعيم الثوري فيفا زاباتا



الممثل العالمي يول براينر في دور «زاباتا» الثائر المكسيكي



بانشو ڤيلا

كانت الشمس تنصب محرقة على مساحات لا تنتهي من الريف المحيط بمنطقة « بارال » جنوب المكسيك، في ذلك اليوم من أواخر نيسان « أبريل » سنة ١٨٩٦. وكان هناك خيال يتحدىٰ الحرّ الخانق، ويستحث جواده الأبيض الأصيل، وقد بدا أنيقاً ببزة صُنِعت من الجلد الأبيض، وطُرِّزت بخيطان فضية، وازدانت بأزرار من عرق اللؤلؤ تنعكس عليها شعاعات الضياء. ومن يقدر علىٰ اقتناء بزة ثمينة كهذه، سوىٰ « دون ليوناردو لوبيز » ابن المالك الكبير!؟

ما إن ظهر «دون ليوناردو» للمزارعين حتى تراكضوا يتسابقون إلىٰ تحيته بمهابة واحترام. أما هو فقد تابع السير، وظلَّ كعادته غير حافل بأحد من هؤلاء المساكين وكأنهم من أشياء تلك الأرض. نظر إليه الفلاحون والعمال نظرات الفقير الخائف، نظرات الكسير الحاقد، نظرات الضعيف المظلوم إلىٰ سيده الغني المستبد: وكانت قبعته «السومبريرو» المصنوعة من القش، الواسعة الأطراف، كفيلة بالفصل بين عيني «الدون» وعيون الناظرين إليه!

أكمل السيد الصغير سيره متفقداً أرض أبيه المنبسطة أمامه علىٰ امتداد ناظريه، وارتسمت علىٰ وجهه ابتسامة عريضة من خلال سيكار ضخم ضغط عليه بشفتين ساخرتين. فكل هذه المسافات المترامية حتى البعيد. . البعيد. . الضاحكة للشمس، كل هذه الأرض الخصبة تعود ملكيتها إلىٰ أبيه وسيرثها في

يوم بات قريباً جداً. . . إنه ابن إحدىٰ أغنى الأسر المكسيكية وأكثرها سطوة ونفوذاً، وهي المسيطرة علىٰ القسم الأوسع من جنوب البلاد حيث يعمل آلاف «البيون» وهي التسمية التي يطلقها أهل المكسيك علىٰ الكادحين من عمال الزراعة. . . فضلاً عن ثرائه يعتز ربّ الأسرة بصداقة الدكتاتور «بورفيريو دياز»، الذي كان قد مضىٰ عليه ثلاثون سنة في حكم البلاد حكماً فردياً جائراً. فكيف لا يشعر «دون ليوناردو» بالإعتزاز والغرور عن نفسه وعن الدنيا بأسرها؟

سأقتلك يا دون ليوناردو:

فجأة امتقع وجه «الدون» الصغير، ورمىٰ بسيكاره قبل أن يكمله، إذْ ظهر راكباً علىٰ بغلة هزيلة، فلاح شاب في نحو الثامنة عشرة من العمر يرتدي أسمالاً بالية تكاد لا تستر عريه. وكان من الوقاحة بحيث اعترض طريق سيده الذي انتهره قائلاً:

ـ ابعد عن طريقي يا هذا. . .

لم يرضخ الشاب للأمر، ولم يكترث باللهجة المتعالية القاسية. . أبقىٰ البغلة مكانها ثم ترجل عنها وقبعته العريضة فوق صدره كعلامة احترام لمالك الأرض وسأل:

ـ ألم تعرفني يا دون ليوناردو؟ أنا محسوبك «دوروتيو أرانجو». . . فنفد صبر الدون وأجاب:

ـ لقد سبق أن طردتك من أرضي منذ ستة أشهر بعد أن أمرت بجلدك. . . ماذا أتيت تفعل الآن؟ أنت لا تطمح طبعاً لأن أعيدك إلىٰ عملك السابق؟

هزّ الشاب رأسه نافياً وحدق ملياً بالغني ثم قال:

ـ كلا، أنا لا أريد عملاً!

ـ ماذا تريد إذن؟ صدقة؟ خذ هذه وانصرف. . . رمىٰ «الدون» بقطع نقدية تدحرجت محدثة عند ارتطامها بالحصىٰ أصواتاً تشبه قرع النواقيس الصغيرة. . وبقي «البيون» الفقير شامخاً في مواجهة سيد الأرض وقال:

ـ أنت مخطىء، ليس هذا ما أسعىٰ إليه.

أمام عناد الفلاح وجرأته زاد غضب «دون» ليوناردو وأعاد السؤال مزمجراً:

ـ ماذا تريد إذن؟ تكلم. . .

فقال «دوروتيو أرانجو» بهدوء مخيف:

ـ أريد قتلك يا دون ليوناردو!

فأغرق «الدون» في الضحك:

ـ أنت تقتلني! ولماذا؟

حدق الفلاح في عيني «الدون» وقال:

ـ لأنك اعتديت على شرف شقيقتي. . .

لم يأخذ «دون ليوناردو» كلام «دوروتيو» علىٰ محمل الجد، بل نظر إليه بازدراء: من يكون هذا الفقير التعس الذي يعترض طريقه؟

ـ إذن ستموت يا دون ليوناردو!

رفع الشاب المدلل سوطه، وهو علىٰ صهوة جواده، وقبل أن ينهال به علىٰ خصمه تمزقت قبعة القش التي وضعها «دوروتيو» فوق صدره وتطايرت نتفاً في الهواء، إذْ أخفىٰ تحتها مسدساً انطلقت منه رصاصة واحدة. سال الدم غزيراً من «دون ليوناردو» وغلب اللون الأحمر علىٰ سترته البيضاء ثم هوىٰ علىٰ الأرض. . . وكي يكمل الفلاح الفقير انتقامه لشرفه تقدم من المغتصب وأفرغ رصاص مسدسه في رأسه، ثم ركب بغلته وابتعد!

هكذا ولد بانشو فيلا:

بعد إجهازه علىٰ ابن صاحب الأرض صديق الدكتاتور، ثأراً لشرف شقيقته، تأكد «دوروتيو» أن لا مفر له من اللجوء إلىٰ «السييرا مادري» أو «الجبل الأم» كما يدعوه أهل المكسيك. فهو أعلىٰ الجبال في البلاد المكسيكية، ومنذ القدم يحمي كل الذين لسبب أو لآخر يهجرون بيوتهم ويختارون العيش علىٰ سفوحه وفي غاباته كالعصاة أو المنفيين المبعدين، وكذلك الثائرين علىٰ شتىٰ أنواع الظلم.

تابع الشاب طريقه علىٰ ظهر بغلته الصغيرة، في ذلك اليوم الشديد الحرارة من أيام شهر نيسان «أبريل» ١٨٩٦، لينضم إلىٰ جماعة الخارجين علىٰ القانون... ويقضي عرف تلك الجماعة بأن يستبدل اسمه الحقيقي باسم آخر غير الأسماء المألوفة ينفرد بوقع خاص، أي أن يكون اسماً حركياً يعرفه به أهل «الجبل الأم»... أتاح له مجالاً واسعاً للتفكير مسيره عبر طريق ضيق متعرج قاده صعداً نحو السفوح الأولىٰ. ولدىٰ بلوغه الجبل كان قد عثر على الاسم الذي يبحث عنه... اختار لنفسه اسم «فيلا» تيمناً بجده الأكبر، وهو زعيم عصابة سابق ومن أعتى عصاة المكسيك...

لحظة بلوغه الجبل شعر «بانشو فيلا» بالتعب يهبط عليه فجأة فتمدد في ظل شجرة كبيرة، ونام نوماً عميقاً ليستيقظ فجأة علىٰ لغط وهرج ومرج. فتح عينيه فرأىٰ نفسه محاطاً بنحو مئة رجل مدججين بالسلاح. خرج أكبرهم من الصف وتقدم «فيلا» وقال:

ـ اسمي «باررا»! وأنتَ من تكون وماذا جئت تفعل عندنا في الجبل؟

بهت «فيلا» للوهلة الأولىٰ ثم اجتاحت كيانه موجة من السعادة، إذْ وجد نفسه أمام «باررا» أشهر عصاة المكسيك، وأوفرهم محبة بين أفراد الشعب والمساكين. أجاب دون تردد:

ـ أنا «بانشو فيلا» جئت إلىٰ «السييرا مادري» بعد أن قتلت رجلاً اعتدى

علىٰ شقيقتي فانتقمت لشرفها.

عقد العجوز ما بين حاجبيه مستغرباً جرأة شاب صغير يقتحم عليه عـزلته في الجبل وأعاد الكرة:

ــ من يضمن لنا صدقك؟ قد تكـون جاسـوساً يتسقط أخبـارنا ليشي بنـا عند «بورفيريو دياز» الدكتاتور المقيت.

انتفض «فيلا» واقفاً لا ينبس بكلمـة، وخلع للحال قميصـه مديـراً ظهره نحو «باررا» فبدت جلية حمراء علىٰ لحم ظهـره آثار السيـاط. فخيم الصمت علىٰ الجميع، واقترب زعيم العصاة من «فيلا» واحتضنه بين ذراعيه، فيما راح رجـاله يطلقون الرصاص في الهواء ابتهاجاً برفيق جديد ينتمي إلىٰ جماعتهم، ويصيحون فرحين:

ــ يحيا فيلا، يحيا فيلا!

من بارّرا إلى فيلا:

تحت إشراف الزعيم المحنك أتقن «فيلا»، وبأقصى سرعة، أسرار المهنة، وكـان أهمها مخـادعة أفـراد ميليشيات مجنـدة من قبل كبـار الملاك لـمطاردة العصاة والإجهـاز عليهم إذا اقتضىٰ الأمر. ومما علمه إيـاه «باررا» إذا مـا احتاج ثـلاثة ثيران مثلاً يسرق واحداً مكتفياً بشد الحزام حتىٰ تحين سـاعة الفـرج. . . فيعتقد كبار أصحاب الأملاك أن عدد العصاة لا يتجاوز العشـرات، فيما هـو يزيـد على المئات. وقد تحتم الحيلة أحياناً سرقة عشرة ثيران، فيُـرمى بسبعة منهـا ولا تأكـل العصـابة إلّا ثـلاثة فيـدب الذعـر في قلوب أفـراد الميليشيـات، ويخيـل إليهم أن العصاة قد تكاثروا وأصبحوا يشكلون خطراً حقيقياً عليهم.

أحب «بـاررا» تلميـذه فجعله الابن المفضـل ووريث «أمجـاده» كلهـا. . . دربه علىٰ فنون لا يتقنها إلا العصاة، وكشف له عن طرق وأساليب يـدرج عليها من يخرج علىٰ القانون ويصيـر بين لحـظة وأخرىٰ، مـطارداً منبوذاً لا مكـان له في المجتمـع: كيف يعلق غصن صنوبـر بسـرج جـواده كي يمحـو آثـار حـوافـر

الجـواد. . . كما لم يبخـل «باررا» عـلىٰ تلميذه بـالقليل من نـظريات تكتيكيـة في حـوزته، كـأن يبدأ بـإرسال عشـرين أو ثلاثـين خيالاً يهـاجمون إحـدىٰ المزارع، فيتراكض أفراد الميليشيات دفعة واحدة فتخلو منهم المدينـة، عندهـا يتجه العـدد الأوفر من العصابة نحو الشـوارع والمؤسسات الخـالية من الحـراسة، ويستـولون علىٰ كل ما تصل إليه أيديهم من مال وحلي و. . . أجمل الفتيات!

لم تكد تمر شهور علىٰ وجـود «فيلا» في الجبـل حتى أصبح سـاعد «بـاررا» الأيمن، يتقدم المهاجمين خلال أشرس الغزوات وأشدها خطراً. لكم تبدَّل مظهره فبـدا مرعبـاً يثير الهلع في قلوب من يقـع نظرهم عليـه فجأة بشـاربيـه الكثيفـين الفـاحمي السواد، وهـو يقود أربعمئـة أو خمسمئة فـارس يـطلقـون النـار في كـل الاتجاهات، ويرددون صيحة المكسيكيين الوحشية: ليحيا الموت!

علىٰ هذا النحو تنقل «فيلا» من غزوة لأخرىٰ، وهو الغالب فيها دائماً دون أن يغلبه أحد، فأجمع رفاقه على اختياره زعيماً جديداً لهم. في عهده تغيرت أمور وتبدلت اتجاهات. . . فالفـلاح السابق لم ينس رغم كـل شيء، غطرسـة أسياده القدامىٰ، فقرر أن يحصر قتاله بطبقة جارت عليه وعلى عشيرته. . . لم يعد يحفل بوضعه كعاص، مطارد، خارج علىٰ القانون، فاتخذت عمليات عصابتـه منحىٰ الحـرب الأهلية، وانحصـرت اعتداءاتـه بالمـزارع الكبرىٰ والمصـارف الضخمة، وجباة الضرائب من الذين يضيقون علىٰ صغار الفلاحين. . . أما أعنف الغزوات وأشدها ضراوة فضد المصالح الأمريكية والأمريكيين الملقبين بالـ «جـرنجو» وهي تسميـة تتضمن كل معـاني الازدراء والاحتقار. . . وشيئـاً فشيئـاً ارتـدى «فيـلا» لبوس البطل الشعبي. . . بطل يبتز الأغنيـاء ويراعي أوضـاع الفقراء. . . وهـو إلى جـانب ذلك وطني مخلص يـدافع عن بـلاده في وجه قـوة الولايـات المتحـدة وعظمتها، بالإضافة إلىٰ ميول ثورية أرَّقت الدكتاتور «بورفيريودياز».

الاتحاد المصيري:

في تلك المرحلة اتحدت حياة «بانشو فيلا» بمصـير بلاده، وتحـديداً منـذ أن أعلن جهـاراً الحرب عـلىٰ تعسف الحاكم وظلمـه، حربـاً خاضهـا علىٰ طـريقتـه

الخاصة، طريقة العصابات... وقد أكدت «استراتيجيته» فعاليتها أكثر من مرة، إذْ أثبتت أن واضعها قاطع طريق وخارج علىٰ القانون من طرازٍ فريد... فهو جريء وشجاع ومولع بالنساء حتى الوله. فما إن يستولي علىٰ مدينة حتى ينتقي له «زوجة» شرعية حسب مفهومه للشرعية... فتجمعت لديه (٢٠) زوجة، وأقيمت له في كل مرة حفلة زواج أحياها العصاة...

علىٰ رغم هذه التجاوزات، فقد اعترف تاريخ الحروب الأهلية، في جمهوريات أمريكا اللاتينية «لبانشو فيلا» بمهارة عسكرية تضاهي مهارة قادة الجيوش النظامية، إذ بلغ عدد رجاله ستين ألفاً... جيش استطاع أن يهزم به دكتاتور المكسيك «بورفيريو دياز» سنة ١٩١١ خلال معركة «جواريز» وأرغمه علىٰ مغادرة البلاد علىٰ غير رجعة. ترجَّح قدر «فيلا» بعد ذلك بين انتصارات وهزائم أعقبتها انتصارات... فتارة يخسر كل رجاله بعد هجوم مجنون يقومون به علىٰ صهوات جيادهم، أو يعرضون صدورهم للرشاشات ويقتحمون الأسلاك الشائكة، وقد يباغتهم جيش الحاكم في صباح باكر بعد ليل يمضونه في السكر والعربدة احتفالاً بانتصار ما. وفي الحالات المماثلة يصبح «فيلا» مطارداً يلجأ إلىٰ الجبل برفقة حفنة من الرجال المخلصين... ولكن لا تكاد تمر أشهر قليلة حتى يتجمع تحت أمرته آلاف المريدين والأنصار.

خلاصة القول إن «فيلا» قاتل طوال سنوات وناصب العداء أكثر من قائد وزعيم... فقد حارب الجنرال «هويرتا» وكان هو المحرض على اغتيال الرئيس الوطني «ماديرو». وفي سنة ١٩١٥، بعد سنتين من القتال، دخل «فيلا» مدينة مكسيكو دخول الفاتحين علىٰ رأس عصاة الجنوب، في يوم دخول ثائر آخر لا يقل عنه شهرة متزعماً عصاة الشمال. ولم يكن ذلك الثائر الأسطوري غير «اميليو زاباتا». التقط المصورون رسم الزعيمين وهما يتصافحان علىٰ درجات سلم القصر الرئاسي، غير أنهما عادا فرفضا الإقامة في القصر وقفلا راجعين إلىٰ الجبال، واحد باتجاه الجنوب والثاني باتجاه الشمال، لضيقهما الشديد بالرخام، والسجاد، واحتقارهما الألاعيب السياسية التي لا بداية لها ولا نهاية!

وما هي غير أشهر معدودة حتى عادت السياسة واحتلت مكان الصدارة في حياة «فيلا» واندلعت معها المعارك الضارية، فنصب الجنرال «كارنزا» ـ وكان محسوباً على الأمريكيين ـ نفسه رئيساً للحكومة المؤقتة.. مما دفع «فيلا» مجدداً إلى سلوك دروب الحرب، فقاتل «كارنزا» مثلما سبق له أن قاتل الدكتاتور «بورفيريو دياز». راوحت تلك المعارك طويلاً بين نصر وهزيمة، واستمرت عدة سنوات إذْ أصبح «فيلا» قائد جيش له مجلس قيادة، ومقر عام ينتقل من قرية إلى قرية ومن جبل إلى جبل.

لم يكن «فيلا» بمطلق الحال استراتيجياً بارعاً، بقدر ما تميز باعتماد تكتيك قاعدته بساطة متناهية، تعتمد على حماسة وشجاعة تبلغان درجة الجنون أحياناً. فيهاجم هدفه مباشرة على رأس مجموعات من الخيالة يهتفون ملء حناجرهم: ليحيا الموت! ولم يكن أمام رجاله غير مصيرين اثنين لا ثالث لهما: فإما النصر وإما الموت. ولم يُعرف عنه مثلاً أنه تردد عن القيام بأية مغامرة مهما بلغت خطورتها... فيدب الذعر في قلوب أعضاء الحكومة القائمة. ولم يكتف بما بلغ إليه من شهرة و«أمجاد» بل أراد المزيد... وفي التاسع عشر من شهر آذار (مارس) ١٩١٦، اتخذ قراراً متهوراً خلال وجوده في مدينة «بالوماس ـ كولومبس» المقسمة بين المكسيك والولايات المتحدة، إذْ تمر الحدود في منتصف شارعها الرئيسي... بلغ «فيلا» عشية ذلك اليوم خبر اعتراف الحكومة الأمريكية بنظام الجنرال «كارنزا» وعدول أحد مهربي السلاح الأمريكيين عن تسليمه الأسلحة الموعودة، وكان الرجل قد تقاضى ثمنها مسبقاً. فجمع «فيلا» مساعديه ليلاً وأيقظ رجاله ليعلن:

ـ هيا استيقظوا سنهاجم «الجرنجو» (أي الأمريكيين) الآن! وكأن كلاً منهم كان ينتظر تلك اللحظة، فصاحوا صيحة رجل واحد بأصوات ترتعد لها قلوب الأعداء، مرحبين بالهجوم على جارتهم الجبارة... على تلك الصورة أعلن «بانشو فيلا» زعيم العصاة في جبال المكسيك، الحرب على الولايات المتحدة بتاريخ ١٦ آذار (مارس) ١٩١٦.

ربما جهل «فيلا» أن اللواء الثاني عشر من سلاح الفرسان في الجيش الأمريكي قد جعل مدينة «كولمبس» مقراً له. . وعلىٰ أية حال لم يكن الأمر ليعيقه عن اتخاذ ذلك القرار. وفي ساعة الصفر هاجم رجاله المدينة المستغرقة في نوم عميق، وهم يعتمرون القبعات العريضة ويشهرون بنادقهم ويطلقون صيحاتهم الوحشية. . . لم يرسم لهم زعيمهم هدفاً محدداً فأخذوا يوزعون رصاصهم في كل الاتجاهات، فيصوبون بنادقهم إلىٰ كل ما يصادفونه في طريقهم مستهدفين: النوافذ المضاءة، والأشباح الهاربة. . . يسرعون في مطاردة الحيوان والإنسان في آن معاً. . . مما حول القتال إلىٰ مجزرة رهيبة سالت فيها دماء الكثيرين.

ما من شك في أن اللواء الثاني عشر فوجىء بأعداد لا تحصىٰ من العصاة، تنقض علىٰ المدينة انقضاض الطيور الكاسرة، إذْ لم تكن الخطط الحربية الموضوعة سلفاً قد لحظت هجوماً ليلياً، تشنه عصابة مكسيكية بتلك الصورة الشرسة. فالدراسات العسكرية أغفلت ذكر مفاجآت تنطلق من المكسيك الجارة، وقضىٰ النظام المتبع بأن توضع الأسلحة أثناء الليل في خزائن مقفلة خوفاً من السرقة. . . ولسوء حظ القادة فإن الموكلين بالخزائن غالباً ما أمضوا الليل في الطرف الآخر من المدينة. وقد واجه كبار الضباط بنادق المهاجمين عند عبورهم الطرقات ذهاباً وإياباً كي يأتوا بالمفاتيح، فيما ألسنة النار تلتهم كل شيء، ورجال «فيلا» يعبثون بالمنازل وبالمحلات التجارية، حتى إذا ما تمكن الجنود من استعادة أسلحتهم، كان أتباع «فيلا» قد أنجزوا مهمتهم وابتعدوا.

غني عن القول إن ردة فعل الولايات المتحدة جاءت عنيفة بل صاعقة، إذْ لم يسبق طوال حقبات تاريخها الحافلة بالمغامرات العسكرية، أن بلغت الجرأة بقطاع طرق حد مقاتلة جيشها بصورة علنية. وفي ١٥ آذار (مارس) ١٩١٦ قاد الجنرال «بيرشينغ»، الذي ترأس بعد سنة واحدة حملة عسكرية عاونت الفرنسيين في حربهم ضد الألمان، عشرين ألف رجل لاحقوا «بانشو فيلا» بمشاركة بعض الفرق المكسيكية. فدقت ساعة الجلجلة بالنسبة إلىٰ «فيلا». . إذْ قضى رجاله الواحد تلو الآخر في معارك بطولية لكنها عقيمة دون جدوىٰ. . .

ومـا أسرع مـا تحول الفـارس المنتصر إلىٰ منبـوذ مـطارد هـائم في مجـاهـل الجبـل ومغاوره، ولم يتبق من رجاله غير حفنة لا تقيه أذىٰ أعدائه. . .

لم يكن خصماً كالآخرين:

ورغم قسوة المطاردة وعنفها، فلا الجيش الأميركي، ولا الجنرال «كـارنزا» الـذي طـرده الأميـركيـون فيما بعـد ليحـل محله جنـرال آخـر من نفس العينـة استـطاعـا التغلب عـلى «فيـلا» أو النيــل منـه. . وكــانت البـلاد تنعم في تلك الأثناء بنوع من أنواع الاستقرار عـلىٰ أثر سقـوط «إميليانـو زاباتـا» حليف «فيلا» القديم في كمين نصبه له الحكوميون. . . سقط «زاباتا» وبقي «فيلا» وحده يقلق راحة الجميع، ويؤرق أحلامهم بالسيـطرة التامـة علىٰ البـلاد، والتحكم برقـاب العمال والفلاحين. . صحيح أنه بات مطارداً يلاحقه الجنود أينما ذهب، لكنه لا يكاد يهبط إلىٰ الوادي حتى يتجمع حوله السكان مندفعين صوبه بالمئات، فتجمع لـديـه سنـة ١٩١٨ جيش من عشـرة آلاف رجـل. . . أدرك «اوبـرغـون» رئيس حكومة المكسيك آنذاك، استحالة التغلب على عدوه اللدود، وتأكد له أن «فيلا» عير سواه من الخصوم، ولن يستطيع كائناً من كان هزيمة المتمـرد العنيد، صـديق المساكين. . . فهو أشرف من أن يكون لصاً محترفاً يسطو علىٰ أموال الآخرين من أجـل الربـح المـادي أو شهـوة الاقتنـاء، وأكبـر من قـائـد حـربي: إنـه الشعب المكسيكي ذاته. . إنه الغضب. . إنه الجماهير الفلاحية المسحوقة منذ القـدم. . لم يكن البؤساء ولا الضعفاء قد رفعوا الـرأس بعد أو تجـرأوا علىٰ مقـاومة الجـور والعبـودية لافتقـارهم إلىٰ سند ومـوجِّه بحثـوا عنه طـويلاً، فـوجدوه في شخص «بـانشو فيـلا» طالما أنـه يشـد إزر الشعب الصغـير، وطـالما أنـه يعبـر عن رأي الصامتين، فإن قسماً كبيراً من بلاد المكسيك سيظل خارج سلطة الدولـة، الممثلة بحكام جائرين. لم يجد الجنرال «اوبرغـون» مناصـاً من الإعتراف بهـذا الواقـع. فأرسل من يفاوض «فيلا» تاركاً له حرية اختيار ما يريد لقاء عدوله عن التصدي للحكم القائم. جاء ذلك العرض عند بلوغ «بانشـو فيلا» الأربعـين من العمر، وقد ترهل جسمه ودب الشيب في شـاربيه. . . فـأين منه ذلـك الخيال الـوسيم، والثـائر العنيـد، والمقاتـل القوي!؟ لقـد ملَّ المغـامرات العسكـرية، وعجـز عن

متابعة غزواته نتيجة إصابته القديمة برصاصة طائشة.. وصار يفضل عليها الجلوس وسط زوجاته العشرين وأولاده البالغ عددهم بضع عشرات... وكانت تلك طريقته للظهور بمظهر الزوج المثالي والأب الحريص علىٰ تربية أولاده تربية صالحة... وخلافاً لعاداته لم يأمر باعتقال مبعوثي الجنرال «أوبرغون» وقتلهم، بل أصغىٰ إليهم طويلاً وأفسح أمامهم مجال التحدث إليه، وإقناعه بالموافقة علىٰ عرض رئيسهم.

وكان الجنرال «أوبرغون» قد قرر أن يعامل خصمه اللدود بكرم، ويعفي عما مضىٰ، فبدت عروض موفديه مغرية جداً. وأهمها هدنة دائمة... وتعيين «فيلا» جنرالاً في الجيش المكسيكي، بمرتب يعادل ما يتقاضاه الجنرالات الآخرون، فضلاً عن مزرعة شاسعة لا تقل مساحتها عن عشرة آلاف هكتار.

سخرية الموت:

وافق «فيلا» علىٰ العرض، وطلب من أولىٰ زوجاته أن تجمع حوله كل أولاده، وانتقل برفقة عشيرته يعيش في المزرعة عيش كبار أصحاب الأملاك... أشرف بنفسه علىٰ كل من عمل في أرضه وبلغ عدد عماله المئات... وأغرب ما في الحكاية أن معاملة «فيلا» أجرائه وفلاحيه اتصفت بالعنف والقسوة... بدا متسلطاً جداً وكأنه نسي ماضيه والسبب الذي دفع به إلى «سييرا مادري» فإذا ما فاجأ أحدهم يتناول الخمرة ضربه بالسوط ضرباً مبرحاً... ثم ينطلق في نزهة طويلة، مستقلاً إحدىٰ سيارتيه الكاديلاك إذْ خص زوجته الأولىٰ بالسيارة الثانية البيضاء اللون.

ترىٰ بماذا كان «بانشو فيلا» يفكر في مطلع شيخوخته وهو يستقل سيارته الكاديلاك المستوردة مباشرة من الولايات المتحدة الأمريكية عدوته التقليدية؟ هل فكَّر بمزارعين فقراء يجلدهم بنفسه كلما تلكأوا في عملهم أو ارتكبوا خطأ ما؟ أم فكَّر بثمن المحصول الأخير؟ ربما عبرت به ذكرىٰ بعيدة فحاول طردها بنفخة من دخان سيكاره الفاخر الأسود؟ أم تراه استعاد شبابه وحياته السابقة في عالم «سييرا مادري» أو «الجبل الأم» يوم كان يرتدي أسمالاً بالية، وقد زرع ظهره

زرعاً بآثار دامية لأسياط أسياده. . . ولعله استعاد ذلك اليوم الحار من أيام شهر نيسان «أبريل» ١٨٩٦، حين وقف إلىٰ جانب بغلته مخفياً مسدسه تحت قبعته فانتقم لشرف شقيقته من ابن صاحب الأرض وصديق دكتاتور المكسيك في ذلك الوقت؟ ربما، من يدري!؟

وقد تكون ألحت عليه ذكرىٰ فلاح عجوز اعترض طريقه قبل شهر أو شهرين، فيما كان يجتاز طرقات الجبل على ظهر جواده، فوجه إليه الشيخ الفقير نظرات يشع منها الحزن والعتب وهزَّ رأسه قائلاً:

ــ «بانشو فيلا»، لم تعد منا. . . لم تعد من الشعب المسكين. . . لقد تخليت عنا!

ترىٰ بماذا فكر «بانشو فيلا» في العشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٢٣، وهو يقود سيارته الكاديلاك محاطاً بحراسه الأربعة؟ ويروي شهود عيان أن الحرَّ كان شديداً يومها، ولم يجد «فيلا» بداً من الذهاب إلىٰ مصرف «بارال» ليسحب مبلغ عشرين ألف بيزوس، أجور العمال والموظفين، والحرس، والخدم، وكل من عمل في البيت الكبير أو المزرعة الواسعة. . . فالواجبات المترتبة علىٰ صاحب الأرض أن لا يتأخر في دفع مرتبات عماله ومزارعيه. عند مدخل المدينة اضطرت الكاديلاك، السائرة ببطء شديد بسبب الحفر، اضطرت السيارة إلىٰ التوقف لحظات قليلة. . . وفي أقل من طرفة عين لمح «فيلا» رجلاً عجوزاً متربعاً وسط التراب فانتفض مذعوراً إذْ مرت في ذهنه للحال خيالات ضايقته. . . غير أن الرجل نهض فجأة نافضاً عنه شيخوخته المزيفة ولوح بقبعته في الهواء صائحاً بأعلىٰ صوته:

ــ يحيا فيلا، يحيا فيلا!

عادت الطمأنينة إلىٰ قلب «فيلا» لكنه ما كاد يرفع يده ليرد التحية حتى صوِّبت إليه (١٣) بندقية خرج حاملوها من مخابئهم بين الأشواك المحيطة بالطريق وتابعوا إطلاق النار حتى فرغ منهم الرصاص. . . ولدىٰ تشريح الجثة

عثر الأطباء في جسد «فيلا» على اثنتي عشرة رصاصة.

لم ينته تاريخ «فيلا» باغتياله، وليس في هذه الظاهرة ما يثير الاستغراب في بلاد المكسيك حيث يتداخل الموت دائماً مع الحياة... أفلا يصيح الرجال عندما يقعون مضرجين بدمائهم: يحيا الموت؟ لقد كان لمقتل «بانشو فيلا» بقية أشد سواداً وأكثر هولاً من الخيانة التي راح ضحيتها... فما كادت تمر أيام على دفنه حتى نبش قبره مجهولون وفصلوا رأسه عن الجسد ليبيعوه لأمريكي «يهوى» جمع «الأشياء النادرة» إذْ اعتبر المهووس السادي أن رغبته في عرض رأس «فيلا» بين «مجموعته» تبرر قتله... فأوعز إلى مأجورين يحترفون الإجرام بنصب كمين واغتيال «فيلا»... ويروى في هذا المجال أن رأس «فيلا» تصدر صالة الاستقبال في بيت الأمريكي المخبول.

تبقى سيرة «بانشو فيلا» واحدة من أنصع صفحات الفروسية في تاريخ المكسيك، والأكثر إيحاء بأحلام المجد والشجاعة.. ألا تمحى بعض ذنوبه لكونه قاتل في سبيل الفقراء من أبناء طبقته، ودفعهم إلى التحدي ورفع رؤوسهم فوق التراب؟

لقد تولى الشعب المكسيكي الإجابة عن هذا السؤال. فمنذ مصرع «فيلا» وهو ينشده في أهازيجه، وينسج من أحداث حياته أجمل الحكايات وأروع الأساطير. فالسياح الذين يعبرون المدن والقرى المكسيكية يسمعون الأطفال يصيحون وهم يلعبون ويرقصون:

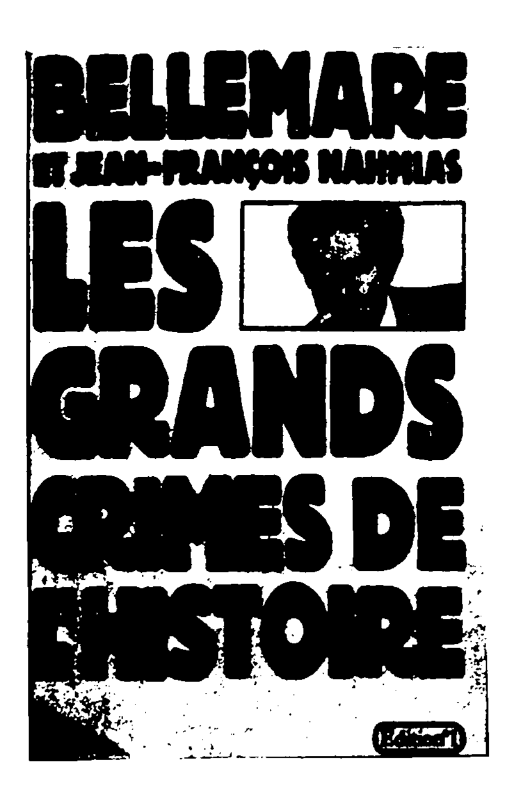
ــ فيفا فيلا... يحيا فيلا...

والأطفال هم دائماً أصدق من يتحدث بلسان الشعوب[1].

* * *

---

(١) الجرائم الكبرى في التاريخ، بيار بيلمار وجان فرنسوا ناهمياس، ترجمة نازك باسيا.



غلاف كتاب الجرائم الكبرى في التاريخ



انغيلبرت دولفوس

رجل دولة نمساوي ـ ولد عـام ١٨٩٢ ـ شكّل وجـوده في الحكم كمستشار للنمسا (١٩٣٢-١٩٣٤) منعطفاً حاسـماً بالنسبـة للجمهوريـة النمساويـة الأولىٰ. وقد تمكن من الوصول إلىٰ الحكم في الوقت الـذي كان فيـه اليمين النمسـاوي، يبحث عن رجل قوي بإمكانه سد الفراغ الذي خلفته وفاة المطران «سيبل».

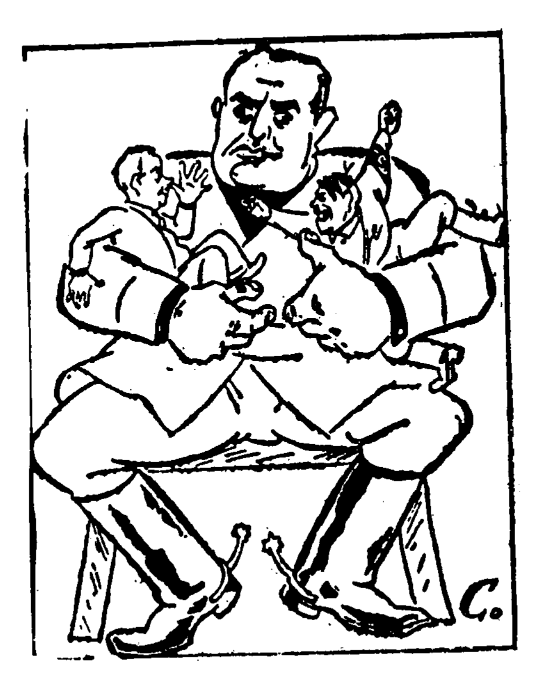
وكـان دولفوس قـد بدأ حيـاته ضـابطاً في سـلاح الفرسـان في الجبهة، ثم ناضل ضمن الحركات الطلابية وبقي طويلاً موظفاً في نقـابة الفـلاحين «للنمسـا السفلىٰ». وفي عام ١٩٣٠، عين رئيساً للخطوط الحديدية الفـدرالية، وكـان علىٰ هذا المناضل القديم في الحزب الاشتراكي المسيحي، أن ينتظر حتى عام ١٩٣١، ليتبوأ منصب وزير الزراعة التي كان يعرف مشاكلها وقضـاياهـا معرفـة جذريـة. وفي العـام التالي أصبـح مستشاراً. كـانت سياسـة دولفـوس قـائمـة علىٰ رفض الانضمـام إلىٰ ألمـانيـا من جهـة، ورفض كـل حـل وسط مـع الاشتـراكيـين ـ الديمقراطيين الذين كانوا يرددون لتأتي (الثـورة الحمراء) من جهـة ثانيـة. وهكذا بدأ عمله بمنع نشـاطات المنـظمات النـازية عـام ١٩٣٣، ومنح تـأييده «للجبهـة الـوطنية»، تلك العصبـة اليمينية المتـطرفـة، التي كـانت تـطالب بحـل الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي مما خلق كل عوامل اندلاع الحرب الأهلية.

وقد وقعت هذه الحرب فعلاً، ولكنها لم تدم طويلاً، رغم أنها تركت بصماتها على الرأي العام. فإثر تفتيش شرطة «لنز» لمقر الحزب الاشتراكي - الديمقراطي الذي دعا إلى الاضراب العام، وسلح ميليشياته الخاصة «عصبة الدفاع الجمهورية»، وبدأ العصيان، استمر القتال بين الميليشيات الاشتراكية والفرق الحكومية من الحادي عشر إلى الثالث عشر من شباط (فبراير) ١٩٣٤ في ضواحي فيينا، ثم اضطر المقاتلون الاشتراكيون إلى الاستسلام، فاعتقل كل من لم يستطع الهرب إلى تشيكوسلوفاكيا، وبهذه الطريقة دفع دولفوس حزباً ديمقراطياً حقيقياً إلى العمل السري، خالقاً على المسرح السياسي فراغاً كبيراً سيُلحق به فيما بعد ضرراً كبيراً. وقد استفاد دولفوس من هذا الفراغ ليفرض في أيار (مايو) عام ١٩٣٦، دستوراً اعتباطياً لا ينص على اجراء انتخابات نيابية إلا «عندما تسمح الظروف بذلك». وقد اختفى من هذا الدستور اسم الجمهورية وحلَّ مكانه نظام جديد يرتكز على المحافظين والكنيسة الكاثوليكية والجماهير الريفية. وبالرغم من الطابع التعسفي لهذا النظام فإنه في الواقع لم يتجاوز حدوداً معينة: إذ أنه كان على شاكلة الأنظمة القوية التي كانت تسيطر حينها في أوروبا كلها، ولكن على الطريقة النمساوية، المتسمية بطابع الاعتدال.

إلا أن سياسة دولفوس المعادية للاشتراكيين وللنازيين على حد سواء، لم تكن تحظى في الواقع إلا بتأييد الحزب الاشتراكي المسيحي النمساوي الذي ينتمي إليه دولفوس شخصياً. ولكنه كان حزباً ضعيفاً خاصة بعد تصفية الاشتراكيين الديمقراطيين، وتزايد نشاط النازيين النمساويين الذين كانوا يتلقون العون والتأييد من هتلر. وهذا ما دفع بهؤلاء الى اغتيال دولفوس بتاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٣٤، في محاولة للسيطرة على الحكم.

إلا أن محاولتهم أدت مؤقتاً على الأقل، إلى مردود عكسي، فقد هزّ اغتيال دولفوس الرأي العام النمساوي والأوروبي، وبدلاً من أن يؤدي إلى استيلاء النازيين على الحكم وضم النمسا إلى ألمانيا، فقد كانت النتيجة أن أنقذت وفاته استقلال النمسا لأربعة أعوام، إذ خلفه مستشار جديد ينتمي مثله

إلى الاشتراكية المسيحية يدعى «شوشنينغ» ما لبث بدوره أن انهار تحت ضربات النازية عام ١٩٣٨[١].



موسوليني بين ألمانيا والنمسا

من عجائب السياسة الدولية في الوقت الحاضر أن السنيور موسوليني رئيس حكومة إيطاليا هو في وقت واحد مؤيد للمستشار هتلر زعيم النازي في ألمانيا وللمستشار دولفوس الذي يكافح النازي في النمسا. ويمثله هذا الرسم وهو يحتضنهما رغم ما بينهما من عداء.

(عن اوايكوت بباريس)

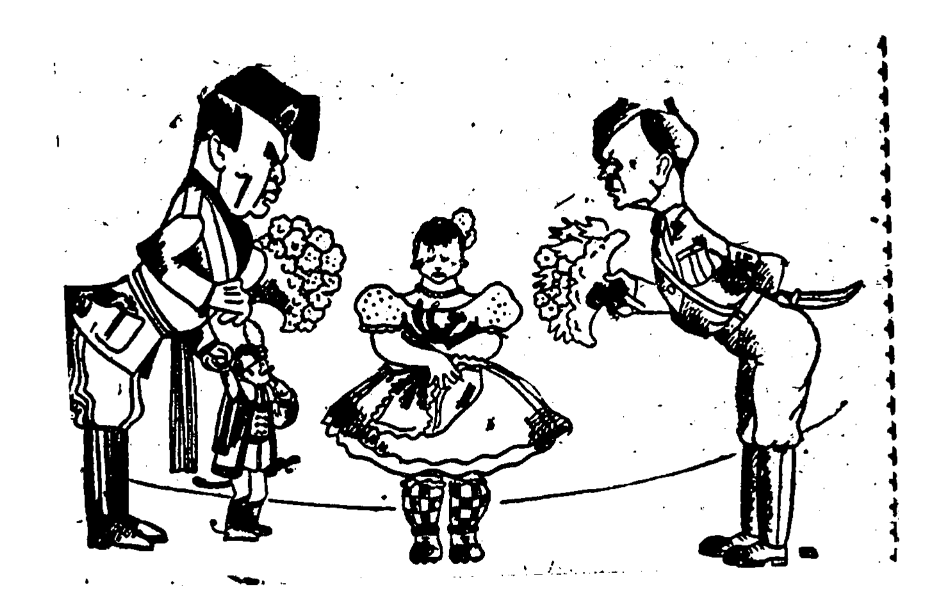
(١) الموسوعة السياسية، ج ٢، ص ٧٠٠.



بين هتلر ودولفوس

دولفوس يسد الطريق بجسمه الضئيل أمام هتلر الذي يريد اقتحامه كما فعلت بلجيكا مع ألمانيا في سنة ١٩١٤.

(عن صحيفة بنش بلندن)



النمسا بين هتلر وموسوليني

كل من هتلر وموسوليني يريد ضم النمسا إليه. ولكنها ـ ممثلة في شكل فتاة عانس ـ تقول لهما: «شكراً لكما. غير إني أفضل أن أبقى عانساً».

(عن لابوليتيكا ببلغراد)



غريغورس حجار

«هو أبلغ خطيب عـربي»، هكذا وصفـه الزعيم سعـد زغلول يوم سمعـه يؤ بن البطريرك كيرلس جحا سنة ١٩١٦.

وهو «مفخرة هذه الأمة وعلم من أعلامها»، كما قال عنه الشريف حسـين ملك الحجاز، حين خطب بحضرته سنة ١٩٢٤.

وأطلق عليه عرب فلسطين لقب «مطران العرب»، شعوراً منهم بأنه عمل كثيراً في سبيل فلسطين، وكان فخوراً بهذا اللقب. . يقول غريغورس:

«هـذا لقب جميـل أعـطانيـه أبنـاء بـلادي، عـلىٰ اختـلاف مـذاهبهم، في كفاحهم وجهادهم لتحرير بلادهم من ربقة الصهيونيين. . ».

ولد هذا الحبر الجليل في «روم» إحدىٰ قرىٰ إقليم جزين في لبنان الجنوبي، سنة ١٨٧٥.

في سنة ١٨٨٤ أرسله قريبه الياس حجار، رئيس الرهبانية المخلصية، إلىٰ دير المبتدئين، تمهيداً لإلحاقه بالمدرسة الصلاحية في القدس، لكن هذه المدرسة لم تقبله لصغـر سنه، فعـاد إلىٰ ديـر المخلص قـرب صيـدا، حيث ارتـدىٰ مسـوح الراهب، ثم إلىٰ المدرسة الرهبانية بجوار دير المخلص. وشرع يدرس الـلاهوت سنـة ١٨٩١. ولكنه تخلف عن أقرانه في المـدرسة، فـذهب مـع قـريب لـه إلىٰ

القاهرة، حيث عين معلماً في إحدىٰ المدارس. وقد انكبّ في الوقت نفسه علىٰ دراسة اللغتين الانكليزية والفرنسية، والرياضيات، وأراد أن يتقدم لامتحان شهادة الدراسة الثانوية، لكن قريبه الياس حجار قدم إلىٰ القاهرة، وأقنعه بالعودة معه إلىٰ دير المخلص، فعاد إليه سنة ١٨٩٣، طالباً قبوله راهباً فيه.

في سنة ١٨٩٦ سِيمَ شماساً، ثم كاهناً باسم جبرائيل. وقام بتدريس الطبيعيات والفلسفة والتاريخ والنحو والبيان والشعر والخطابة اليونانية في مدرسة الدير حتى سنة ١٩٠٠. وقد اشتهر آنئذ بفصاحته وقوة بيانه وقدرته الخطابية، وذاع صيته في مناطق لبنان حتى لقب بالخطيب الساحر.

وفي صيف سنة ١٨٩٩ توفي مطران عكا، فاختير الأب جبرائيل حجار نائباً بطريركياً فيها. وقد باشر إدارة أبرشية عكا منذ آب سنة ١٩٠٠، وظل فيها طوال حياته.

كان السياح الغربيون الذين يزورونه في أبرشيته يطلقون عليه اسم «مسيح الشرق». أما عرب فلسطين فقد أطلقوا عليه «مطران العرب»، اعترافاً بجهوده التي كان يبذلها من أجل الحق العربي، وتقديراً لكفاحه في سبيل القضية الفلسطينية.

وحين قدمت اللجنة الملكية البريطانية إلىٰ القدس، للتحقيق في أسباب الثورات التي اجتاحت فلسطين، أدلىٰ المطران حجار أمامها يوم ١٩٣٧/١/١٧ ببيان: «في اتحاد العرب المسلمين والمسيحيين معاً في الشكوىٰ والمطلب، وفي الأخطار الأخلاقية والاجتماعية التي تعرضت لها البلاد المقدسة من جراء الحركة الصهيونية، وفي الأخطار المحدقة بالأماكن المقدسة وقدسيتها».

وظل المطران حجار يبذل كل ما يستطيع من جهد، قولاً وفعلاً من أجل قضية فلسطين. وقد ذهب إلىٰ القدس في ١٩٤٠/١٠/٣٠، وقابل المندوب السامي، وسعىٰ بمناسبة عيد الفطر السعيد، إلىٰ العفو عن بعض من حكم عليهم بالإعدام والسجن من مناضلي الثورة الفلسطينية، ثم قصد، بعد أن نجح مسعاه، إلىٰ الحرم الشريف، ونقل أخبار العفو عن هؤلاء المحكومين إلىٰ

ذويهم في الحرم، فهتف هؤلاء له، وحيوا مطران العرب[1].

وأثناء عودته إلى حيفا في مساء اليوم ذاته، اصطدمت سيارته بعربة خيل يقودها «يهودي»، فأمر المطران سائقه بالتوقف، وترجل ليرىٰ ما أصاب العربة وصاحبها، فإذا أحد الحصانين ميتاً، وصاحبها يصيح ويلطم، فطيب المطران حجار خاطره، ثم نقده مبلغاً من المال تعويضاً عن حصانه، وعند عودته ليمتطي سيارته مرت سيارة مسرعة صرعت المطران حجار صرعة قوية، فدب الذعر فيمن تجمهروا وحملوا مطران العرب إلىٰ مستشفىٰ الحكومة بحيفا، وهناك وجد الأطباء أن الصدمة أصابت رأسه وأفقدته عينه اليسرىٰ، وبعد ساعة فاضت روحه إلىٰ خالقها.

تم دفن المطران حجار في كنيسة السيد بحيفا، وشارك في مأتمه خيرة رجال من سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين.

لا شك أن موقف المطران حجار من الحق العربي في فلسطين، كان السبب الرئيسي في اغتياله[2].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٢) الكفاح العربي، ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٥.



الإمام يحيى حميد الدين

يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين الحسني الطالبي: ملك اليمن، الإمام المتوكل علىٰ الله ابن المنصور بالله، من أئمة الزيدية. ولد بصنعاء عام ١٨٦٩ م، وتفقه وتأدب بها، وخرج منها مع أبيه إلىٰ صعدة سنة (١٣٠٧ هـ). وولي الإمامة بعد وفاة أبيه سنة (١٣٢٢ هـ) في «قفلة عذر» شمالي صنعاء. وكانت صنعاء في أيدي العثمانيين، فهاجمها وحاصرها، فاستسلمت حاميتها، ودخلها، فأعادوا الكرّة عليها، فانسحب منها رأفة بأهلها. وواصل القتال في «آنس» وقرية «الحمودي» و«الأشمور» (شمالي صنعاء) و«خولان» و«سنحان» و«رجام» و«الحيمة» و«صُنعه» من بلاد (ذمار) إلىٰ سنة (١٣٢٦ هـ) فعُزل الوالي التركي «أحمد فيضي باشا» وكان قاسياً عنيفاً، وعُين «حسن تحسين باشا» فكان عاقلاً اتفق مع الإمام يحيىٰ علىٰ أن لا يعتدي أحدهما علىٰ الآخر، وهدأت المعارك.

غير أن «حسن تحسين باشا» عزل سنة (١٣٢٨ هـ)، وعين والٍ يدعىٰ «محمد علي باشا» لا يقل قسوة عن «أحمد فيضي»، فعادت الثورة وحوصر الترك في صنعاء. واشتدت المعارك ولقيت الجيوش العثمانية الشدائد في تلك الديار، فأرسلت حكومة الآستانة وفداً برئاسة «عزت باشا» اتفق مع الإمام يحيىٰ، وكان يومئذ في «السُّودة» شمالي صنعاء، علىٰ الاجتماع في «دعّان» (بالشمال الغربي من عمران) وأمضيا شروطاً للصلح... وانتهى الأمر بجلاء الترك عن البلاد

اليمنية سنة (١٣٣٦ هـ) ودخل الإمام صنعاء، وخلص له ملك اليمن استقلالاً. وطالت أيامه...

وهو كما قال أحد الكتاب في وصفه:

«.. كل شيء في اليمن، ومرجع كل أمر، دقّ أو جلّ، وما عداه من سوظفين وعمال وعسكريين وحكام، أشباح وشخوص، لا سلطان لهم ولا رأي».

وكان يرىٰ الاستبداد في الحكم خيراً من الشورىٰ!؟ وضاقت صدور بعض بنيه وخاصته، وفيهم الطامع بالعرش، والمتذمر من سياسة القمع، والراغب بالإصلاح، فتألفت جماعات في السر، تظهر له الإخلاص وتبطن نقيضه، وعلىٰ رأس هؤلاء أقرب الناس إليه عبدالله ابن أحمد المعروف بابن الوزير. وخرج ولد له يدعىٰ «إبراهيم» عن طاعته، فلجأ إلىٰ عدن وجعل دأبه التنديد بأبيه والتشهير بمساوىء الحكم في عهده.

وكان «إبراهيم» علىٰ اتصال بابن الوزير وحزبه. ومرض الإمام يحيىٰ ووصل إلىٰ «إبراهيم» نعيه، وهو حيّ، فتعجل «إبراهيم» بالإبراق إلىٰ أنصار له في مصر، يذكر موته، وأن الحكم من بعده أصبح «دستورياً» وسمىٰ رجال الدولة «الجديدة» وهم ابن الوزير وجماعته. وشفي الإمام من مرضه، وانكشفت له صلتهم بابنه، فخافوا بطشه، فأتمروا به. وخرج بسيارته يتفقد مزرعة له تبعد عن صنعاء (٨) كيلومترات في عام ١٩٤٨ وهي في طريق الحديدة، ففاجأه بعض أعوانهم بسيارة تحمل مدفعين رشاشين و(١٥) بندقية، وانهالوا عليه برصاصهم، فقتلوه، ومعه رئيس وزرائه «القاضي العمري»، ودفن في مقبرة كان قد أعدها لنفسه. وخلف (١٤) ولداً يلقبون بسيوف الإسلام.

كان الإمام يحيى شديد الحذر من الأجانب؛ آثر العزلة والانكماش في حدود بلاده. وله اشتغال بالأدب[١].

(١) الأعلام، قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، المجلد الثامن، ط ٥، المجلد الثامن، ص ١٧٠ ـ ١٧١.



محمود فهمي النقراشي

محمود فهمي «باشا» ابن علي النقراشي: سياسي مصري. ولد بالإسكندرية، وتعلم بها ثم بجامعة نوتنجهام بإنكلترة. وعاد سنة ١٩٠٩ يحمل شهادة مدرس. واشتغل بالتدريس، وترقىٰ إلىٰ أن كان مديراً للتعليم في أسيوط. واستقال، فانضم إلىٰ الوفد المصري.

ولما تولى سعد زغلول رياسة الوزارة سنة (١٩٢٤) جعله وكيلاً لمحافظة القاهرة فوكيلاً للداخلية. ولما اغتيل السردار البريطاني السردار لي ستاك[١] بالقاهرة سنة ١٩٢٤، كان النقراشي أحد المتهمين بالتآمر علىٰ قتله، فاعتقل مدة وبرىء. وولي وزارة المواصلات سنة ١٩٣٠ و١٩٣٦ ومنح لقب «باشا». كان معروفاً بعفة النفس واليد. وتولىٰ تنظيم «التشكيلات» السرية والعلنية، في أيام سعد زغلول، فكان مرجع الشبان «الوفديين» وقائدهم. وانشق عن الوفد مع أحمد ماهر بعد وفاة سعد فأنشأ حزب «السعديين» سنة ١٩٣٧ بعد اغتيال أحمد ماهر[٢]. وعُين رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٤٥-١٩٤٦ وعاد في السنة نفسها. وفي أيامه استفحل الخطر الصهيوني في فلسطين، وعمل على تقوية «جمعية

---

(١) للتوسع أنظر الجزء الثاني من أشهر الإغتيالات السياسية، ص ٤٩.

(٢) للتوسع انظر الجزء الثاني من أشهر الإغتيالات السياسية ص ٦١.

الإخوان المسلمين» لمقاومة «الوفديين» فاتسع نطاق التنظيم، وخشي انقلابها علىٰ السلطات المصرية، فأمر بحلها، فتحول التنظيم إلىٰ تنظيم سري. وتصدىٰ له أحد شبانها، وهو طالب في كلية الطب البيطري، اسمه عبد المجيد أحمد حسن، فقتله بثلاث رصاصات، أمام مصعد وزارة الداخلية[٣] بتاريخ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨.

وزادت أعمال العنف والإرهاب التي مارستها الحكومة، وذلك بما أشيع وظهر أنها ارتكبته من حوادث، كالمحاولات المتكررة لاغتيال مصطفى النحاس زعيم الوفد ونسف منزله. ثم مع مقتل النقراشي، اغتيل الشيخ حسن البنا رئيس تنظيم الإخوان المسلمين في عام ١٩٤٩[٤]، وظهر أن قتله كان بتدبير من الملك فاروق، الذي اعتبر مقتل النقراشي ضربة موجهة له، وبتدبير إبراهيم عبد الهادي خليفة النقراشي في زعامة الحزب السعدي ورئاسة الوزارة.

وهكذا تصاعدت أعمال العنف السياسي تصاعداً كبيراً. ولجأت حكومة إبراهيم عبد الهادي إلىٰ استعمال ما لم تعيه ذاكرة الأحياء من وقتها من ضغط علىٰ الحريات واعتقال وتعذيب لمن امتلأت بهم السجون والمعتقلات، ومارست سائر أنواع الإرهاب والتخويف، مما عانت منه جميع التيارات الثورية والوطنية والمعارضة.

لقد استغل الملك فاروق حماس الجماهير الوطني لمكافحة الخطر الصهيوني، وأراد به أن يستغل الظرف الاستثنائي والحكم البوليسي في دعم حكمه وملكه بعد أن تكاثرت عليه القوىٰ الداخلية، وبعد أن لم تصبح السلطات العادية المتاحة له وللحكومة بالدستور والقانون قادرة علىٰ حماية النظام.. المهم أن الحكومة مارست فيضاً من أعمال العنف، والإغتيال، والإخلال بالنظام.. مستهترة بالقيم والمكاسب التي ظفر بها الإنسان العربي المصري، بكفاح عشرات السنين[٥].

(٣) الأعلام، قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، المجلد السابع، ص ١٨٠ ـ ١٨١.
(٤) للتوسع انظر الجزء الأول من أشهر الإغتيالات السياسية في العالم.
(٥) الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، طارق البشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.



فرحات حشّاد

في أحد أيام شهر كانـون أول من عام ١٩٥٢، بينما كان فـرحات حشـاد عـائداً من اجتمـاع عمالي في تـونس، أطلق عليه الـرصاص من سيـارة رسميـة كانت تطارده، فأصيب بجراح خـطيرة. . . واستـوقف سيارة كبيـرة كانت تعبـر الـطريق، وطلب إلىٰ سـائقهـا أن ينقله إلىٰ المستشفى، ولكنـه فـوجىء بسيـارة فرنسية تطلق عليه النار من جديد للإجهاز عليه، وعلىٰ الرغم من هذا فقد مات وهو يبتسم في هدوء عميق!!

وقد أعلن إذْ ذاك أن عصابة من الإرهابيـين الفرنسيـين في تونس هي التي ارتكبت هذه الجريمة، وادعت السلطات الفرنسيـة أنها في سبيل إحـالة القتلة إلىٰ القضـاء. غير أن وثـائق رسمية نشـرت ـ فيما بعـدـ في فرنسـا كشفت أن دوائـر الشرطة الفرنسية وضعت الخطة ونفذها موظفون رسميون.

لقد قتل فرحات حشاد وهو في أوج نضاله الثوري من أجل حرية وطنـه، ففي ذلـك العام، كـان الأمين العـام للاتحـاد التونسي للشغـل الذي يعـد أقوىٰ منظمة عمالية في الوطن العربي. وكـان فرحـات قد أسس هـذا الاتحاد منـذ عام ١٩٤٥، معتمـداً علىٰ ثقتـه العظيمـة بالـطبقات العـاملة، وقدرتهـا علىٰ الكفـاح النقابي من أجل حقوقها. وعنـدما نشبت الثـورة في تونس عـام ١٩٥٢، أضاف

إلىٰ تقاليد الاتحاد العام مبدأ الكفاح السياسي، واعتبر العمال والفلاحين أهم عنصر في النضال الوطني ضد الاستعمار، ومن أجل هذا المبدأ دفع حياته الفذة ثمناً.

ولد فرحات حشاد عام ١٩١٤ من أبوين فقيرين يعيشان من صيد السمك في قرية العباسية بجزيرة قرقنة بتونس، وبدأ يشتغل منذ الطفولة، واستطاع أن ينهي دراسته الإبتدائية عام ١٩٢٨، فانصرف بعدها في سبيل العيش. وقد مارس معظم المهن الشاقة، واكتسب خبرة عميقة بمشاكل الكادحين، وبآلام الطبقات الشعبية البائسة.

ولم يتوقف عن القراءة والاهتمام بالشؤون السياسية، ولا سيما ما يتعلق بالحركات العمالية في المغرب العربي وفي العالم، وقد توفر علىٰ دراسة المحاولات التي قام بها، محمد علي القابسي، الرائد الأول للنقابات التونسية، وانضم فرحات حشاد إلىٰ الحركة العمالية في تونس في سن مبكرة. واستطاع في عام ١٩٤٤ أن يقوم بتنظيم عمالي حقق فيه وحدة النقابات، المتفرقة في جنوب تونس: «اتحاد النقابات المستقلة للجنوب»، ثم أسس «اتحاد النقابات في الشمال»، وفي عام ١٩٤٥ ألف «الاتحاد العام التونسي للشغل».

وأصدر صحيفة تنطق بلسان العمال هي «العمل»، واشترك في عدد كبير من مؤتمرات العمال العالمية في أوربا وأمريكا، وعلىٰ الرغم من هذا كله فقد احتفظ بخلق الكادح المتواضع، وبقي حتى آخر لحظة من حياته، وفياً للشعار الذي بدأ به كفاحه: العمل المتواصل من أجل قضية الشعب[1].

---

(١) المؤلفات الكاملة، صدقي اسماعيل، المجلد الأول، ص ١٢٦ - ١٢٧.

باتريس لومومبا



لأول مرة:

القصة الكاملة لاغتيال باتريس لومومبا. في خريف ١٩٦٠، قررت وكالة الاستخبارات الأمريكية، اغتيال الزعيم الأفريقي الوطني باتريس لومومبا. وقد صدر كتاب جديد للكاتبة الأمريكية المعروفة «مادلين ج. كالب» بعنوان: «برقيات بشأن الكونغو، من عهد ايزنهاور إلى كنيدي»، تكشف فيه محاولة الإغتيال كاملة، كما جاءت في أحد فصول الكتاب الذي ننقله فيما يلي:

في التاسع عشر من شهر أيلول «سبتمبر» عام ١٩٦٠، تلقى رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية في ليوبولدفيل، عاصمة الكونغو الذي نال استقلاله قبل فترة وجيزة، رسالة من رؤسائه في واشنطن، بطريقة سرية جداً جاء فيها أن شخصاً من المركز العام باسم «جو من باريس»، سيصل إليه حاملاً تعليمات للقيام بمهمة مستعجلة. ولم تزد الرسالة على ذلك غير تحذير رئيس المركز من البحث بشأن الرسالة مع أي شخص آخر.

وبعد أسبوع وصل «جو» وتبين أنه كبير علماء وكالة الاستخبارات المركزية، وقد جاء مزوداً بحقيبة تحتوي على سم غريب يسبب داء محلياً خاصاً بالمنطقة يقتل كل من يتلقاه. وأبلغ رئيس المركز أن المستهدف بهذه المادة القاتلة،

هو رئيس وزراء الكونغو، باتريس لومومبا. . .

إن هذا السم يجب أن يدس، علىٰ حد قول العالم، بطريقة ـ ما ـ في طعام لومومبا، أو في معجون الأسنان الذي يستعمله إذا أمكن ذلك. وإذا كان القتل بواسطة السم ليس بالوسيلة الوحيدة المقبولة، فإن الاغتيال بأية طريقة مقبول، شريطة أن لا تثور أية شبهة حول حكومة الولايات المتحدة، وبعد أن أشار رئيس المركز إلىٰ أن الإغتيال ليس بالضبط أسلوباً مألوفاً تنهجه وكالة الاستخبارات الأمريكية، عاد فسأل عمن وافق علىٰ هذه المهمة!؟ هنا أشار العالم إلىٰ أن هذا الأمر صدر عن «السلطة العليا» أي من دوايت د. ايزنهاور، رئيس الولايات المتحدة بالذات.

كان باتريس لومومبا، طويلاً، نحيف القامة، ذا عينين لامعتين خلف نظارتيه، وخطيباً ساحراً. وقد أسس حزباً وطنياً قاده حتى النصر في أول انتخاب نيابي في الكونغو. وكان اسمه حتى قبل حصول الكونغو البلجيكي علىٰ استقلاله في ٣٠ حزيران (يونيو) عام ١٩٦٠، قد برز في تقارير وكالة الاستخبارات المركزية على أنه شخص «راديكالي» تلقىٰ مالاً من الحزب الشيوعي البلجيكي، وألف حكومة يسارية، وألمح إلىٰ احتمال قبول عروض سوفياتية للمساعدة المالية. غير أن واشنطن لم تشعر بالإلحاح قبل انقضاء أسبوعين علىٰ الاستقلال، حين تحركت قوات بلجيكية لإخماد تمرد كونغولي علىٰ ضباط بلجيكيين كانوا لا يزالون في مراكزهم العسكرية، ووجه لومومبا نداء إلىٰ الاتحاد السوفييتي لتقديم المساعدة في وجه العدوان الامبريالي ـ البلجيكي.

وبالنسبة لآلين و. دالس، مدير الاستخبارات المركزية، وشقيق زير الخارجية جون فوستر دالس الذي كان قد توفي في مكتبه عام ١٩٦٩، كان ذلك كافياً لاعتبار لومومبا «كاسترو آخر». وفي اجتماع لمجلس الأمن القومي، وصف آلين دالس خلفية لومومبا بأنها مثيرة للغيظ. . .

أما في وزارة الخارجية، فإن كبار المسؤولين كانوا غير مقتنعين بأن لومومبا شيوعي، وكانوا يعتقدون بإمكانية ممارسة تأثير ملطف عليه، ولما قدم لومومبا إلىٰ

نيويورك للاجتماع بالأمين العام للأمم المتحدة، داغ هامر شولد، دعوه إلىٰ زيارة واشنطن. . . وكان هذا اللقاء حاسماً بالنسبة للومومبا وللولايات المتحدة معاً. فقد استقبله وزير الخارجية الجديد كريستيان هيرتر، وأمضىٰ معه فترة نصف ساعة كانت عديمة الجدوىٰ في محاولة إقناعه بالإعتماد علىٰ الأمم المتحدة فقط، والإمتناع عن استدعاء دولة أجنبية للمساعدة. ووقعت محاولاته علىٰ أذن صماء. . . وبنتيجة ذلك بلغت مشاعر الحكومة درجة عالية من الحدة.

وفي اليوم الأول من شهر آب (اوغسطس) ترأس ايزنهاور اجتماعاً لمجلس الأمن القومي، وكان موضوع البحث الرئيسي هو الكونغو. وكان المجتمعون قلقين لاحتمال وقوع القواعد البلجيكية في الكونغو بأيدي السوفييت. وتقرر في هذا الاجتماع أن تكون أمريكا مستعدة في أي وقت للتدخل العسكري في الكونغو.

وفي هذا الوقت تقريباً، على حد قول ديلون الذي حضر الاجتماع، خطر اغتيال لومومبا. فقد تطرق البحث إلىٰ هذا الموضوع، في اجتماع في البنتاغون حضره ممثلو وزارة الدفاع، ورؤساء الأركان، ووكالة الاستخبارات المركزية. هنا، علىٰ حد قول ديلون، أثيرت بإيجاز مسألة احتمال اغتيال لومومبا. . .

وفي منتصف شهر آب، كانت الاستراتيجية الأمريكية، لاستخدام الأمم المتحدة لمنع لومومبا من الاتجاه نحو الاتحاد السوفياتي تصطدم بعقبات، إذْ أن لومومبا كان قد قطع علاقاته بالأمين العام للأمم المتحدة، لأن لومومبا تأكد أن داغ هامر شولد، استسلم للضغط الغربي، برفض إخماد المعركة الانفصالية القائمة بدعم من بلجيكا في مقاطعة كاتانغا الغنية بالمعادن، وراح يهدد بإخراج قوات الأمم المتحدة للمحافظة علىٰ السلام.

وفي اليوم ذاته أثار موظفو وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية، قضية الكونغو مع الرئيس ايزنهاور في اجتماع مجلس الأمن القومي. وقد جاء في محضر الاجتماع أن ديلون قال: «إن منع لومومبا من إخراج قوات الأمم المتحدة من الكونغو أمر جوهري. . إن إقصاء الأمم المتحدة كارثة يجب علينا أن نفعل

أي شيء للحؤول دون وقوعها. إن طرد قوات الأمم المتحدة قد يؤدي بنا إلىٰ مواجهة وضع يتدخل فيه السوفييت بدعوة من الحكومة الشرعية في الكونغو...».

وكانت ردة فعل ايزنهاور إزاء ذلك قوية، فقد قال الرئيس: «إن إمكانية إخراج الأمم المتحدة شيء يستحيل، بكل بساطة، أن نتصوره. يجب أن تبقى الأمم المتحدة في الكونغو حتى ولو كان علينا أن نستدعي قوات أوربية لتنفيذ ذلك...».

وكان بين الذين حضروا الاجتماع موظف من رتبة متوسطة هو: روبرت هـ. جونسون، أحد العاملين في مجلس الأمن القومي، وفي عام ١٩٧٥ صرح أمام لجنة تشرش بما يلي:

«أثناء ذلك الحوار قال الرئيس ايزنهاور شيئاً بدا لي، وإن كنت لا أذكر كلماته، أنه أمر باغتيال لومومبا... لم يجر أي نقاش. الاجتماع استمر بكل بساطة. إلاّ أنني أذكر إحساسي في تلك اللحظة بوضوح لأن تصريح الرئيس جاء بمثابة صدمة لي».

وإذا كان محضرا الاجتماع لا يحتوي علىٰ مثل هذا الأمر بالإغتيال، فإن ذلك في رأي جونسون لا يثبت أي شيء، سلباً أم إيجاباً. وفي رأيه أيضاً أن الإجراءات المتبعة آنذاك، كانت تقضي بحذف أي أمر للرئيس من هذا النوع من محضر الاجتماع، أو بتناوله بشيء من التلطيف والتلميح.

وكانت الخطوة التالية، علىٰ أية حال، برقية مرسلة إلىٰ ديفلين في ليوبولدفيل في اليوم التالي، من قبل ريتشارد بيسيل، نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية للمخططات، وقد فوضه فيها، وهو المسؤول عن العمليات السرية، بأن ينفذ مخططه باستبدال لومومبا بمجموعة مناصرة للغرب. إلاّ أن ديفلين رئيس المركز، ردَّ علىٰ ذلك بعد يومين بنبأ غير مشجع فحواه أن الزعماء المعارضين للزعيم الأفريقي لومومبا تقدموا من جوزيف كاسافوبو، رئيس

الكونغو، بمخطط لاغتيال لومومبا، ولكن كاسافوبو رفض ذلك موضحاً أنه غير مستعد للجوء إلىٰ العنف، كما أنه ليس هنالك أي زعيم آخر «له المنزلة التي تخوله الحلول محل لومومبا».

وفي الوقت نفسه ذكر لايكر، السفير الأمريكي في ليوبولدفيل في تقرير له، أن نحو مئة فنيين من السوفييت والتشيكيين وصلوا إلىٰ الكونغو، وتوقع وصول عدد آخر منهم بعد وقت قصير. كذلك جاء في تقرير للسفارة الأمريكية في أثينا أن شحنات الأسلحة السوفييتية المنقولة بالطائرات هي في طريقها إلى الكونغو. وفي هذه الأثناء أخذ لومومبا ينقل قواته جنوباً استعداداً لمهاجمة مقاطعة كاتانغا الانفصالية.

وبوصول هذه التقارير إلىٰ واشنطن، تزايد الشعور بالقلق في الأوساط العليا في وزارة الخارجية والبيت الأبيض. وفي الخامس والعشرين من شهر آب، حضر غراي، مساعد الرئيس الخاص لشؤون الأمن القومي، اجتماعاً للهيئة الخاصة، وهي لجنة فرعية تابعة لمجلس الأمن القومي، معنية بالتخطيط للعمليات السرية. واستمع الجميع إلىٰ مندوب وكالة الاستخبارات المركزية، توماس باروت، وهو يوجز مخططاً للتخلص من لومومبا... حقاً إن أحداً من الذين اشتركوا في هذا الاجتماع، لا يتذكر أنه سمع كلمة الاغتيال. أما جون. ن. ايروين، الأمين المساعد للدفاع، فأعرب عن رأيه بأن عبارة «التخلص من لومومبا» واسعة إلىٰ حد كاف يجعلها تشمل مثل هذا الاحتمال. وقال ديلون الذي لم يحضر هذا الاجتماع أن المحضر يدل علىٰ «أن الإغتيال كان ضمن النطاق المرسوم». في حين أن بيسيل كان أكثر وضوحاً:

«عند القول بعدم استبعاد أية وسيلة، يكون واضحاً أن ذلك هو المقصود. وهو ما كان واضحاً لكل فرد في قاعة الاجتماع... إن مثل هذا القول لا يلجأ إليه إلاّ إذا كان يعني في الواقع أمراً للمدير للتخلص من الرجل، حتى ولو كان اللجوء إلىٰ الوسائل المتطرفة بما في ذلك الإغتيال». يقول بيسيل أيضاً:

«يجب أن يزاح لومومبا من موقع السيطرة والنفوذ في الكونغو. . . وأن الإغتيال بالفعل هو أحد إمكانات إقصائه. . وهذه هي رغبة دالس. . . ».

هنا جيء بالعالم الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية ليقوم بدوره. اسمه سيدني غوتليب. وهو مساعد بيسيل الخاص للشؤون العلمية. وقد طلب منه رئيسه أن يعد مواد بيولوجية، وأن يجهزها للإستعمال علىٰ وجه السرعة لاغتيال زعيم أفريقي غير معين «بحال تقرير تنفيذ المخطط» وجاء في إفادة غوتليب أن بيسيل قال له أن لديه «توجيهات من أعلىٰ سلطة. . للقيام بهذه العملية». واعتبره غوتليب أنه كان يشير إلىٰ الرئيس.

واتصل العالم بالمصلحة العسكرية للمركبات الكيميائية في فورت ديتريك، بشأن المواد التي «تفتك بالإنسان أو تقعده بحيث يتعذر عليه القيام بأي عمل»، واختار منها مادة يفترض فيها أن تحدث داء محلياً خاصاً بتلك المنطقة من أفريقيا وأن تكون قاتلة، ثم جمع أيضاً مواد إضافية مساعدة، من إبر للإستعمال في الزرق تحت الجلد، وقفازات مطاطية، وأقنعة لدائنيه. وفي الوقت ذاته تقريباً قيل له إن الزعيم الأفريقي المعني هو لومومبا، وأنه تقرر تنفيذ العملية، وأن عليه أن ينقل هذا الطرد القاتل إلىٰ ليوبولدفيل.

وعند وصوله إلىٰ هناك في شهر أيلول «سبتمبر» كان الوضع في الكونغو قد تغير. كان الرئيس كاسافوبو قد تضايق من حملة لومومبا العسكرية، فأصدر قراراً بإقالة لومومبا من منصبه كرئيس للوزراء، ولما أقنع لومومبا المجلس النيابي بنقض الإقالة، أقنع الأمريكيون وحلفاؤ هم ضابطاً شاباً برتبة زعيم، اسمه جوزيف موبوتو، هو الرجل الثاني في الجيش، بتسلم السلطة. وعلىٰ الفور قام الزعيم موبوتو بطرد جميع السياسيين، والخبراء، والمستشارين العسكريين ومعداتهم. ولكن ديفلين ظل برغم ذلك قليل الثقة باستقرار النظام الجديد، وخشي احتمال انقلاب الوضع في أية لحظة، وعودة لومومبا إلى السلطة. . وتعاونه مع المعسكر الاشتراكي.

وخلص من ذلك إلىٰ «أن الحل الوحيد هو إزاحته عن المسرح بأسرع

وقت». ووافق دالس على ذلك. وفي ٢١ أيلول «سبتمبر» أبلغ ايزنهاور أن «لومومبا لا يزال خطراً كبيراً إذا لم نتخلص منه».

وبعد خمسة أيام وصل غوتلبن (جو من باريس) إلى ليوبولدفيل حاملاً حقيبته السامة. ومن المثير للسخرية أن وكالة الاستخبارات المركزية اتخذت خطوتها الأولى المحددة في سبيل اغتيال لومومبا بعد ثلاثة أسابيع من إقالته من رئاسة الوزارة، و١٢ يوماً من استلام موبوتو للسلطة، وتسعة أيام من طرد الخبراء والمستشارين العسكريين، وقد كان قدومهم إلى ليوبولدفيل مثار ذعر في واشنطن ومحرك مؤامرة الإغتيال.

وحين وصل غوتليب إلى ديفلين وأبلغه مهمته، أحس رئيس المركز، على حد قوله في وقت لاحق باندهاش عظيم وقد قال:

«كنت أنظر إلى الوكالة على أنها الذراع التنفيذية للرئاسة... لذلك اعتقدت أنه أمر صادر على الوجه الصحيح عن سلطة مأذونة. ومن ناحية أخرى، كنت أنظر إلى العملية كأنها شيء أستطيع الاستغناء عنه. وقد حسبت أن الوكالة وحكومة الولايات المتحدة تستطيعان على الأرجح، صرف النظر عنها أيضاً. ولم أكن أنظر إلى لومومبا على أنه يستطيع إشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة. ولو أنني اعتقدت ذلك لكان لي موقف آخر، ولكنني لم أكن أنظر إليه من هذا المنظار. لقد كنت أراه خطراً على الوضع السياسي للولايات المتحدة في أفريقيا، ولا شيء أكثر من ذلك».

وطوال الشهرين التاليين، راح ديفلين يرسل إلى واشنطن سيلاً متواصلاً من التقارير عن نشاطاته في هذا المجال بوسائط سرية جداً أنشئت خصيصاً لمخطط الإغتيال. وكان يؤكد الحاجة إلى السرعة، إلاّ أنه ظلت لديه، على ما يظهر، تحفظاته بالنسبة للمخطط، إذ أنه ظل يتوسل الأعذار لتأجيل التنفيذ. وأخيراً غادر غوتليب ليوبولدفيل في الخامس من شهر تشرين الأول (أوكتوبر)، وذكر أنه رمى السم في نهر الكونغو قبل رحيله لأنه لم يكن موضوعاً في ثلاجة ولم يكن ثابت الفعالية، ولعله بات غير صالح إلى حدّ كاف.

وفي منتصف تشرين الأول باتت القيادة قلقة، وقام تويدي بسؤال ديفلين عن رأيه بفكرة إرسال موظف كبير في وكالة الاستخبارات المركزية إلى ليوبولدفيل، ليحصر جهده في مخطط الإغتيال، بينما يتفرغ بدوره للمشاغل التي تفرضها عليه مهماته الأخرىٰ. واقترح تويدي استخدام مجموعة من المسلحين، لاختطاف لومومبا من مسكنه حيث يقيم تحت حراسة قوات الأمم المتحدة. ورد ديفلين على ذلك بأن إيفاد رجل آخر فكرة ممتازة. أما بالنسبة للوسائل البديلة للتخلص من لومومبا، فينصح بتزويده بواسطة الحقيبة الدبلوماسية، ببندقية ذات منظار مقرب وكاتم للصوت.

وكانت للموظف الكبير الذي وقع الاختيار عليه لتنفيذ مخطط الإغتيال تحفظاته بالنسبة للفكرة. وقد صرح هذا الموظف جوستين أودويل أمام لجنة تشرش أنه استدعي من قبل بيسيل في منتصف تشرين الأول (أوكتوبر)، وطلب إليه أن ينتقل إلى الكونغو للقضاء علىٰ لومومبا. ثم قال إنه أبلغه أنه لن يكون له ضلع في قتل لومومبا، ولو أنه كان علىٰ استعداد للإنتقال إلى ليوبولوفديل للقيام بمحاولة «تحييد» لومومبا «كعامل سياسي». وجاء في شرح إفادته هذه «أنني كنت أريد. . أن أخرجه (أي لومومبا) أن أغريه للخروج إذا استطعت، ثم أن أسلمه. . . للسلطات الشرعية لمواجهة المحاكمة».

ووصل أودونيل إلىٰ ليوبولدفيل في الثالث من تشرين الثاني «نوفمبر» ولكنه لم يتسن له أن ينفذ خطته بإغراء لومومبا لمغادرة مسكنه. فقد كان لومومبا قد غادر مقره باختياره خلسة في السابع والعشرين من تشرين الثاني بعد أن صوتت الأمم المتحدة علىٰ قبول وفد كاسافوبو لا وفده. لقد خشي أن يفقد حماية قوات الأمم المتحدة، فاتجه إلىٰ معقله الخاص في ستانليفيل علىٰ مسافة ألف ميل نحو الشرق. ولكن جنود الزعيم موبوتو اعتقلوه في الطريق وسجنوه في تيسفيل، علىٰ مسافة تسعين ميلاً من ليوبولدفيل.

وفي الثالث عشر من كانون الثاني (يناير)، عام ١٩٦١، أعلنت حامية تيسفيل العصيان، طالبة زيادة المرتبات، مهددة بإعادة لومومبا إلىٰ السلطة. عند

ذلك وجه ديفلين برقية مثيرة إلىٰ واشنطن قـال فيها: «في اعتقـاد المركـز والسفارة أن الحكومة الحالية قـد تسقط خلال أيـام قليلة. ومن المحتم أن يؤدي ذلك إلىٰ الفوضىٰ وعودة لومومبا إلىٰ السلطة». ثم أضاف إلى ذلك:

««إن الإمتنـاع عن اتخاذ خـطوات جذريـة في هذا الـوقت يؤدي إلىٰ فشل سياسة الولايات المتحدة في الكونغو».

وفي اليوم التالي تبلغ ديفلين أن «موبوتو» سينقل لومومبـا إلىٰ سجن آخر في مكان مأمون. وبعد ثلاثة أيام نقل لومومبا بالطائرة إلىٰ مقـاطعة كـاتانغـا، موطن عدوه اللدود، مويز تشومبي زعيم المقاطعة. وبينما كان لومومبا يهبط من الطائـرة في العاصمة الإقليمية اليزا بينفيـل، متعثراً، معصـوب العينين، مـوثوق اليـدين خلف ظهره، أخذ الجنود الكاتانغيون يرفسونـه، ويلكمونـه، ثم رموه في سيـارة «جيب» وانطلقوا به. وبقي مصير لومومبا موضـع تساؤ ل وقلق طـوال الأسابيـع القليلة التالية. وبعد يومين من نقله إلىٰ كاتنغا أبرق مـركز وكـالة الاستخبـارات المركزية في اليزا بيتفيل إلىٰ القيادة العامة يقول:

«شكراً لباتريس، لو كنا نعلم أنه قادم لكن شوينا حية»!!

وفي الثالث عشر من شباط (فبراير) أعلنت السلطات الكاتنغية أنه لجأ إلىٰ الفرار. وبعد ثلاثة أيام أعلنت أنه أسر وقتل من قبل القبائل الكونغـولية. ولكن أحـداً لم يصدقهـا. أما التحقيق الـذي قامت بـه الأمم المتحدة، فقـد عجز عن تـوضيح ظـروف موت لـومومبـا، لكنـه استنتـج أنـه اغتيـل من قبـل المـوظفـين الكاتانغيين، والمرتزقة البلجيكيـين في ليل السـابع عشـر من كانـون الثاني، فـور وصوله إلىٰ اليزا بيتفيل، باشتراك تشومبي شخصياً أو بموافقته.

ترىٰ، ما هو دور وكالة الاستخبارات المركزية في موت لـومومبـا؟ وما هـو دور الرئيس ايزنهاور!؟

أسئلة نترك الإجابة عليها للتاريخ[١].

---

(١) الجيـل، المجلد ٢، العـدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١.



ابن لومومبا!

فرنسوا هو الابن الوحيد للزعيم الكونغولي باتريس لومومبا، وقد جاء إلىٰ القاهرة طفلاً مع شقيقته ووالدته، وزوجة أبيه الثانية بولين، في عملية تهريب أشرف عليها الفريق سعد الدين الشاذلي شخصياً، الذي كلف آنذاك مساعدة أنصار لومومبا.

وقد عاش فرنسوا في القاهرة في بيت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ودرس مع أبنائه. وفي عهد السادات غادر فرنسوا مصر، بعد أن تعلم لهجتها جيداً إلىٰ جانب اللغة العربية الفصحىٰ، إلى جنيف مع شقيقته. ومن هناك بدأ يتصل بأنصار والده وبأقطاب المعارضة في زائير من أجل توحيد الصفوف. ولأنه يمتاز بثقافة عالية وبحس سياسي لامع، استطاع أن يكسب تأييد معظم المعارضين النشطين، فأعاد بناء «الحركة الوطنية لتحرير الكونغو» في بضع سنوات فقط، وهو الآن أحد قطبي المعارضة الفاعلة إلىٰ جانب «حزب الشعب الثوري».

وإلىٰ مقدرته علىٰ جمع شتات المعارضة، استطاع فرنسوا أن يبني تحالفات سياسية مع العديد من البلدان الأفريقية، وحركات التحرر في العالم ولا سيما في الوطن العربي[١].

---

(١) كل العرب، العدد ١٢٢، ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤.

محمد محمد الزبيري



يقول الدكتور عبد العزيز المقالح:

ليس محمد محمود الزبيري شاعراً فحسب، ولا هو مناضل فحسب، بل هو كذلك صحافي، وزعيم وطني وروائي وكاتب وشهيد، لذلك فقبل محاولة الكتابة عنه لا بد أن يثور السؤال أو الأسئلة التالية:

ما الذي يمكن أن يستحضره الذهن حين يتذكر الزبيري؟ هل تاريخ أول معارضة لحكم الإمامة في اليمن، ثم انقلاب ١٩٤٨، أم تاريخ أول عمل صحفي حرّ في اليمن، ثم انقلاب ١٩٥٥؟ هل كتابة أول عمل روائي، أم ثورة ٢٦ (سبتمبر) . . . ثم ذلك الجسد المضرج بالدم بعد رحلة الكفاح الطويل!؟

ولد الزبيري في صنعاء العام (١٣٢٨ هـ) (١٩١٨ م)، من أسرة تنتمي إلىٰ الطبقة الوسطىٰ، ويشتغل بعض أفرادها بالقضاء، والبعض الآخر بالتجارة. وقد نشأ شاعرنا ـ منذ طفولته الباكرة ـ نشأة روحية متصوفة. . وهذه النشأة الروحانية الزاهدة المتصوفة جعلته غير ميال إلىٰ القضاء، وغير مهتم بالتجارة، رغم شظف العيش الذي عانى منه. فالقضاء لا يشبع رغبته وطموحه إلىٰ اكتشاف سر الحياة وما وراء العالم المباشر، أما التجارة فقد كانت أبعد ما تكون عن ميوله المثالية. وكانت الطبقة التي ينتمي إليها الشاعر بحكم المولد، تعاني

من إفلاس فكري جعلها تعيش في منأىٰ عن محاولات التغيير. لكن هذا الإحساس قد تشكل في وجدان مجموعة من شعراء الصحوة، كان الزبيري في طليعتهم وكانوا طليعة الدعوة إلىٰ التغيير والإلتزام بقضايا المجتمع والحياة. وكان التناقض واضحاً بينهم وبين المجتمع الذين يحيون بين ظهرانيه، وبينهم وبين الأسر التي ينتمون إليها. فقد كانت هذه الأسر تحرص علىٰ حياة الجمود الممثلة في عصر الإمام يحيىٰ، وعلىٰ تقديس كل ما هو موروث، وكانت كالإمام يحيى تقاوم كل أفكار التحول، لما تسببه من اهتزاز في بنيان المجتمع التقليدي، القائم علىٰ بناء طبقي فريد من نوعه قد لا يخضع لأي تحليل علمي.

وقد بدأ الزبيري حياته في السياسة، وهو طالب في كلية دار العلوم، وعاد إلىٰ اليمن حاملاً مشعل التنوير من خلال جمعية الأمر بالمعروف التي ألفها بعد عودته، فكان عقابه السجن، ثم الفرار إلى عدن عاصمة الجزء المحتل من البلاد ـ حينئذ ـ، وقد نجح مع بعض رفاقه في تكوين أول عمل صحفي من نوعه للتعريف بالأحوال في مملكة الإمام يحيىٰ وفي دعوة المواطنين إلىٰ الثورة والقضاء علىٰ ذلك النظام العتيق... وقد نجحت الدعوة وأثمرت الإطاحة بالإمام يحيى، وكان الزبيري وزيراً للمعارف في حكومة الانقلاب الأول... وحين أجهضت الثورة ابتدأ الزبيري حياة التشرد، ثم الغربة الطويلة في الباكستان، حيث أمضى خمس سنوات، يبكي مصرع الرفاق، ويذوب حنيناً إلىٰ الوطن.

وفي ٢٣ تموز (يوليو) قامت ثورة مصر الظافرة، فكانت أملاً للثوار العرب في كل مكان. وفتحت القاهرة ذراعيها لتستقبل الزبيري وأمثاله ممن ينشدون لأوطانهم الحرية والاستقلال. وفي القاهرة أعلن الزبيري قيام الاتحاد اليمني، التنظيم الحزبي الذي خلف الجمعية اليمنية الكبرىٰ وحزب الأحرار. وظل بين مد وجزر يتابع أمواج السياسة العربية، إلىٰ أن قامت ثورة ٢٦ أيلول (سبتمبر) فعاد إلىٰ وطنه وزيراً للتربية والتعليم، ثم نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الاعلام والتربية. ولم يكن الزبيري ـ علىٰ مدىٰ حياته ـ يحفل بالمناصب، لذلك فقد هجر مكتبه في المدينة، وذهب إلىٰ الريف ليدافع عن منجزات الثورة الأساسية، وفي

مقدمتها النظام الجمهوري، حتى سقط مضرجاً بدمائه في ٣٠ آذار (مارس) ١٩٦٥.

إذاً، فقد تقلبت الحياة بالزبيري، من شاعر، إلىٰ صحافي، إلىٰ وزير، إلىٰ مهاجر، إلىٰ زعيم سياسي، وهو في كل موقف ذلك الوطني الجسور، والثائر الزاهد وفي الأخير توَّج حياته المتنوعة النضال بالشهادة، حين استقرت رصاصة غادرة في قلبه الكبير[1].

وتجدر الإشارة إلى أن للزبيري المجموعات الشعرية التالية:

- صلاة في الجحيم.
- ثورة الشعر.
- نقطة في الظلام.

من شعره نختار هذه الأبيات:

في ذمة الشعب أشجاني وآلامي
وفي هواهُ تباريحي وتهيامي
أنفقتُ عُمْرَ شبابي للحميَّة عن
قومي وأنفس أيامي وأعوامي
بيني وبينَهُم آلافُ مهلكةٍ
وهمْ دمي وهمُ خلفي وقدَّامي
ولي بقيةُ عُمْرٍ لا أضنُّ بها
علىٰ بقية أهدافي وأحلامي
كنت عن هبة أحبوك يا وطني
فلم أجد لك إلّا قلبي الدامي
أعيشُ في الفلواتِ الرُّبْدِ ليس بها

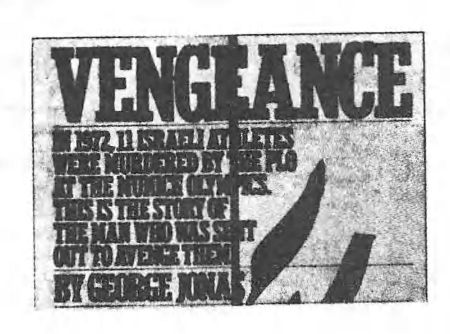
---

(١) الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني، د. عبد العزيز المقالح، ص ١٥ - ١٩ ط ١ دار العودة ١٩٨٠.

ظلٌّ ولا منهلٌ يحنو على الظامي
وأنشدُ الحبَّ في بيدٍ نسير بها
من نابِ صلٍّ إلى أشداق ضرغام
آمنتُ أنَّ لنا حقاً وأن لنا
شعباً سينهض من كابوسنا الطامي(٢).

نقطة في الظلام، شعر، محمد محمود الزبيري، تقديم د. عبد العزيز المقالح،ط دار العودة ١٩٨٢ .

وائل زعيتر



لقد اتخذت قراري الانتقام!!

قالت غولدا مائير وهي تحدق في وجوه الرجال الثلاثة، الذين وافوها إلىٰ منزلها في القدس، بعد الانتهاء من تشييع جثث الرياضيين الإسرائيليين الخمسة، بعد عملية ميونيخ عام ١٩٧٢. ولم تجرؤ رئيسة الوزراء غولدا مائير بحضور مراسم الدفن خوفاً من أن تقذف بالحجارة!!

ومن دون أن تضيف كلمة واحدة غادرت مائير منزلها تاركة الجنرال زيفي زامير رئيس الموساد، والجنرال آرييل شارون، والعميل آفنير، يتدبرون أمر تشكيل فريق الإرهاب الإسرائيلي المكلف اغتيال رؤوس المقاومة الفلسطينية في الخارج! كانت القائمة تحمل الأسماء التالية:

علي حسن سلامة، محمود الهمشري، وائل زعيتر، باسل الكبيسي، كمال ناصر، كمال عدوان، محمد يوسف النجار، محمد بودية، حسين أبو الخير، وديع حداد، أبو داود.

وبين روما، وباريس، وأثينا، ونيقوسيا، وجنيف، كانت أسماء غالبية هؤلاء تسقط من قائمة الموساد، لترتفع إلىٰ قائمة الشهداء. كيف نفذت المخابرات الإسرائيلية هذه الإغتيالات.. يعرضها كتاب «الانتقام» الذي صدر

في كندا ثم نيويورك. . . الوقائع رواها «افنير»وصاغها في شكل روائي جورج جوناس الذي يزعم أنه يروي الحقيقة التاريخية. . .

في التحليل النهائي للكتاب، فإنه يدل على أن ممارسة الإرهاب هو سمة من سمات الكيان الصهيوني، بل ويجري الإعداد له وتمويله، وتوفير سبل تنفيذه ونجاحه من قبل كبار الشخصيات في السلطة الإسرائيلية. . . وهذا ليس بشيء جديد، لأن مذبحة دير ياسين، وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، ليسوا بآخر مسلسل الإرهاب الصهيوني.

نذكر القراء أن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) قد أخفقت في عشرات العمليات. . . بدليل أنها فشلت في اغتيال: أبو داود، ووديع حداد، وجورج حبش، وغيرهم. . على الرغم من ملايين الدولارات التي أنفقتها لتصفيتهم. . . أضف إلى ذلك أن (الموساد) قد فقدت ـ وما تزال ـ أذكىٰ رجالها وأقواهم، من خلال تصفيتهم الجسدية، علىٰ أيدي العرب في العديد من العواصم: باريس، روما، جنيف، مدريد، قبرص، أثينا، القاهرة. . . إذن المعركة ما تزال قائمة. . . والمطلوب الحذر. . واليقظة. . والتخطيط السليم.

* * *

يوم ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٢، حلَّ أفنير وكارل في فندق ليوناردو دي فينتشي، في روما، بعدما كانوا قد سكنوا في أماكن متفرقة في روما وحولها. وقبل مغادرتها إلىٰ الفندق حصل روبرت من طريقَ بعض «صلاته» علىٰ حقيبة فيها خمس مسدسات من نوع «بيريتا ٢٢»، في اليوم التالي توجه فريق الإغتيال متوزعاً، أفنير وروبرت في سيارة وستيف وهانس في سيارة أخرىٰ، إلىٰ حيث يسكن «الهدف». ذلك قرابة التاسعة والنصف مساء. أما كارل فقد كان يقوم بتزوير وثائق جديدة لهم: جوازات سفر، ورخص قيادة سيارة. . لاستعمالها بعد العملية. واتخذ كل موقعه حسب المخطط المحدد. كان «الهدف» علىٰ منوال عادته التي لا يحيد عنها، سيكون هنا قريباً. كان سيدخل «بار تريستي» ليقوم بمكالمة هاتفية أو اثنتين من هناك، ذلك لأن هاتفه في المنزل كان معطلاً!! كان

هنـاك عدد من النسـاء والرجـال مستأجـرين للقيام بمهمـات عديـدة للفـريق لا يعرفون هدفها، ولكنهـا تحمل دلالات يفهمهـا أفنير وأصحـابه، وتعني تنفيـذ أو إلغاء العملية ذلك المساء.

كل شيء يشير إلىٰ أن (الهدف) قادم. دخـل افنير ومعـه «روبرت» دهليـز البناية الذي كانا قد زاراه في اليوم السابق. وبعد لحظات يصل «الهدف» ويتجـه مباشرة إلىٰ البار ليستعمل الهاتف كالعادة. ثم يدخل الدهليز ليصعد إلىٰ شقتـه. ولو دخل معه أي شخص آخر، لأرجئت العمليـة، بل ربمـا جمدت مـدة لو رأىٰ الهدف وجهيهما. ها هو «الهدف» قادم. لقـد دخل الـدهليز. وكـان هناك رجـل وامرأة يتبعانه، لكنهما توقفا وعادا من حيث جاءا!؟ أما «الهدف» فقد تابع طريقه نحو المصعد غير شاعر بالخـطر الكامن في ظـلام الدهليـز. وضغط افنير عـلىٰ زر الكهرباء ليضيء المكان، في الوقت الـذي تقدم فيـه روبرت إلىٰ الـرجل ليسـأله بالإنكليزية: هل أنت وائل زعيتر؟ كان السؤال مجرد رسميـات إجرائيـة، لأنهما كانا يعرفانه تماماً الشاعر الفلسطيني الذي كان ممثلاً لمنظمة التحريـر في روما منـذ سنـوات.. وكان في رأس «المـوساد» مسؤولاً عن اختـطاف طائـرة (العـال) إلىٰ الجزائر سنة ١٩٦٨.

كان يبدو علىٰ وائل أنه سيقول: نعم.. جواباً عن سؤال روبرت، ولكنه وفي لحـظة «حدسيـة» أحس بالخـطر، وخرجت منـه كلمة (لا)!! غـير أن افنـير وروبرت كانا يستعدان لإخراج مسدسيهما. وعندما استدار ليـذهب كان الاثنـان يطلقان عليه نحو ـ١٤ـ رصاصة...

توجه القاتلان إلىٰ سيـارة (الفيات) الخضـراء التي كانت بـانتظارهمـا حيث كـان يقف ستيف يجلس إلىٰ جـوار السـائق الإيـطالي. وسـأل ستيف: لمـاذا لم تفعلاها؟ كان واضحاً أنه لم يسمع الطلقات الكاتمة، مع العلم أنه لم يكن يبعـد عن الدهليز سوىٰ أمتار قليلة. بعد مسافة قصيرة تـوقفوا ليـأخذوا معهم هـانس الذي كان ينتظرهم، وتابعوا السير مـدة عشرين دقيقـة، ليتوقفـوا ثانيـة فيغادروا «الفيـات»، ويـركبـوا «فيـات» أخـرىٰ صغيـرة تحـركت بهم نحـو الـطريق ١٤٨

قاصدين مدينة لاتينا الصغيرة. لقد كلفتهم العملية كاملة: ٣٥٠ ألف دولار!

من هو وائل زعيتر؟

مناضل وأديب فلسطيني ولد عام ١٩٣٤ في مدينة نابلس، وهو ابن المحامي المؤلف عادل زعيتر.

تلقى وائل دراسته الابتدائية والثانوية في نابلس، ثم توجه إلى العراق لدراسة الهندسة في جامعة بغداد. ولكنه تركها بعد عام واشتغل عاملاً في مدّ طريق جنوبي العراق... أمضىٰ بضع سنوات في العراق غادره بعدها في أواخر الخمسينات إلىٰ الكويت حيث عمل موظفاً في دائرة المساحة. وبعد أمد قصير ترك الكويت إلىٰ ألمانيا الغربية فإيطاليا حيث كان يطمح إلى إغناء ثقافته الموسيقية والأدبية. وانكب علىٰ دراسة اللغة الإيطالية وآدابها، وبدأ يترجم كتاب «ألف ليلة وليلة» من العربية إلى الإيطالية.

اختارته منظمة التحرير ممثلاً لها في روما.. واستطاع أن يمد جسوراً قوية بين الثورة الفلسطينية ومجموعة من قادة الفكر والسياسة في إيطاليا. وأسس معهم نواة اللجنة الإيطالية للتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني. وقد عملت هذه اللجنة على شرح حقائق قضية الشعب الفلسطيني والصراع العربي - الصهيوني للشعب الإيطالي، ونظمت المظاهرات وعقدت الاجتماعات من أجل فلسطين، وجمعت التبرعات للفدائيين والمخيمات الفلسطينية.

قررت المخابرات الصهيونية اغتيال وائل بسبب هذا النشاط الوطني. وفي يوم ١٧/١٠/١٩٧٢، تقدم منه شخصان وأطلقا عليه الرصاص أمام مدخل منزله فسقط شهيداً[١].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.





بيير بازوليني

في أحد الصباحات الباكرة من يوم غائم، وفي شارع «أورسكالو» بمدينة «أوستيا» التي تطل علىٰ البحر الأبيض المتوسط. وجد الناس جثة هامدة لرجل مجهول، وكانت إحدىٰ كتفيه مهشمة إثر انسحاقها بدواليب سيارته الشخصية، وقد بدت آثار التشويه علىٰ تلك الجثة... وما هي إلاّ ساعات حتى أمكن التعرف علىٰ تلك الجثة وعلىٰ هوية صاحبها:

الاسم: بيير باولو بازوليني.

العمر: ٥٢ سنة.

الإقامة: روما.

المهنة: كاتب وسينمائي.

لقد كان ذلك الصباح هو الثاني من تشرين الثاني ١٩٧٥، ولم يكن يوماً عادياً في حياة روما وهي تفقد أحد أبنائها الكبار. إذْ ازدحمت تلك العاصمة عصر ذلك اليوم بتجمعات كبيرة من الناس، وهي تقف وقفة جماعية لمعرفة القتلة، فملأت الشوارع صوراً كبيرة لبازوليني، وانتشرت بشكل سريع مقاطع من قصائده وكتاباته، وخرجت الصحف بطبعات مسائية تتحدث عن شخصيته التي ترمز إلىٰ النموذج الإنساني للكاتب والسينمائي المثقف، حيث كان يسعىٰ، في كل إبداعاته وتوجهاته الشعرية والسينمائية والمسرحية والتشكيلية إلىٰ مساندة

الأفكار التقدمية.

وبعد أيام اعتقلت الشرطة شاباً اعترف بجريمته النكراء وقد وصفها علىٰ النحو التالي:

في ليلة السبت التي كانت تصادف اليوم الأول من تشرين الثاني ١٩٧٥، كان برفقة بازوليني وطلب منه أن يتدرب علىٰ قيادة سيارته، فأذن له بازوليني الذي غادر سيارته من أجل ذلك، ولكن الشاب توجه لدهس بازوليني وأعاد الكرة عدة مرات حتى تأكد أنه فارق الحياة، بعدها ترك الشاب السيارة في وسط الشارع ولاذ بالفرار!!

وقد حكمت المحكمة علىٰ الشاب المذكور بالسجن لمدة عشرة أعوام، وأغلقت القضية لكون الجريمة تمت بدوافع انتقام شخصية، لعلاقات خاصة (شاذة) بين المتهم والضحية...

إلاّ أن الأحزاب اليسارية، والمنظمات الثقافية التقدمية، والعديد من الصحافيين والمثقفين، أشاروا وما زالوا، بأن بازوليني، ذهب ضحية جريمة منظمة من خلال سعي اليمين المتطرف، لتصفية كل العناصر اليسارية الفاعلة في المجتمع.

أهم وأشهر أفلام بازوليني:

ــ عقدة أوديب.
ــ ألف ليلة وليلة.
ــ دي كامرون (الأيام العشرة).
ــ حظيرة الخنازير.
ــ انجيل متىٰ.
ــ ماما روما.
ــ حياة مغتصبة النظرية.

يقول العديد من النقاد: أن من لا يقرأ أشعار بازوليني، سوف لن يكون

قادراً علىٰ فهم أعماله السينمائية، بل سوف تضجره هذه الأفلام[1].

وفيما يلي شهادة الكاتبة الإيطالية الشهيرة داسيا مارابيني، التي عاشرت الكاتب الإيطالي البرتو مورافيا لمدة عشرين سنة، وهي الآن على رأس اللجنة المكلفة بالتحقيق في ظروف اغتيال بازوليني:

س: ماذا عن موت الفنان الإيطالي بازوليني. هل وصلت لجنة التحقيق إلىٰ نتائج بخصوص هذه القضية؟

ج: مع الأسف، حتىٰ هذا الوقت، وبعد مضي عشر سنوات علىٰ ذلك الحادث المريع لا تزال ظروف بازوليني غامضة ولا تزال هناك أسئلة كثيرة. الشاب الذي قتله أمضىٰ خمس سنوات في السجن ثم أطلق سراحه. ونحن لا نملك أدلة لفتح ملف القضية من جديد. أنا متأكدة شخصياً بأن الشاب وحده كان عاجزاً عن قتله. لقد كان بازوليني قوياً وشاباً ولم يكن من السهل الإعتداء عليه بسهولة. ثم أن جثته كانت مشوهة وممزقة تمزيقاً لا يقدر شخص واحد علىٰ القيام به. وعندما قبض البوليس علىٰ القاتل لم تكن في ثيابه - مع العلم أنه لم يبدلها إطلاقاً - قطرة دم واحدة! كل هذا غريب. ولكننا كلجنة نواصل تحقيقنا ولو لم نتوصل إلى نتيجة. لقد كان بازوليني واحداً من أهم الفنانين في هذا العصر. كتب الرواية والشعر، وكان سينمائياً كبيراً. وقد مثل الفكر الجديد أروع تمثيل وناضل ضد العنف، وضد القوىٰ الفاشية، وضد الفساد، وبسبب ذلك تكاثر خصومه. وعندما حانت الفرصة لم يمهلوه.

س: ما هو موقف الشرطة الإيطالية من هذه القضية؟

ج: الشرطة الإيطالية أغلقت الملف. فقد حوكم الشاب القاتل وليس لها ما تقول بشأن هذا الموضوع.

---

(١) صحيفة الثورة السورية، العدد ٦٩٥١، ٦/١٢/١٩٨٥.

س : أتعتقدين مثلاً أن هناك شخصيات سياسية في الحكم أو خارج الحكم قد شجعت علىٰ ارتكاب الجريمة؟

ج : أنا لا يمكنني أن أقول شيئاً إذا لم أكن أمتلك أدلة واضحة. أنا مسؤولة عن لجنة تحقيق! ولا أريد أن أتهم أحداً هكذا دون الإستناد إلى شيء مادي!

س : العنف سمة هذا العصر. وسمة إيطالية منذ أكثر من عشرين عاماً: الألوية الحمراء ـ المافيا؟

ج : الألوية الحمراء عبرت عن أزمة عميقة في صفوف الشباب بصفة عامة. الشباب المثقف والحالم كان يريد تحطيم كل شيء في زمن قصير. وكان يعتقد أن ذلك سيكون سهلاً. وقد أثبت الواقع خلاف ذلك. فالدولة اليمينية لها تجربة سياسية طويلة ويمكنها أن تواجه صعوبات أو أن تتورط في بعض الأزمات، لكنها لا يمكن أن تسقط بسهولة.

أما المافيا فهي سرطان حقيقي ينهك إيطاليا منذ أوائل هذا القرن. وقد أفسدت المافيا الحياة السياسية والاقتصادية والروحية، ومارست أفظع عمليات العنف والإنتقام خلال هذا العصر. ويكفي أن ترفع صوتك محتجاً لكي تغتالك في لحظات. ولأول مرة في تاريخ إيطاليا الحديث يقع إيقاف المافيا. ولأول مرة توضع الرؤوس الكبيرة في السجن. . . لقد كان القضاة في السابق يخافون إيقاف رجال المافيا. وقد قتل الكثير منهم عندما أرادوا أن يقوموا بذلك. أما الآن فكل رجال القضاء متحدون لإنهاء المافيا واجتثاثها من جسد المجتمع الإيطالي. إنها حقاً فترة تاريخية هامة في تاريخنا المعاصر. البلدان الأخرى لا يمكنها أن تشعر بخطر المافيا مثلما نشعر به نحن.

س : هل تعتقدين أن مرحلة جديدة ستبدأ بالنسبة لإيطاليا بعد إنهاء الألوية الحمراء والمافيا؟

ج : لا بد من وقت طويل لكي يتوضح ذلك. أعتقد شخصياً أن عمليـة إيقاف المافيا ستحدث كثيراً من التبدلات حتى في عقلية الشعب.

* * *

عبد الله الحجري



في أحد أيام شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٧٧ وأمام فندق «رويال لانكستر» المطل علىٰ حديقة هايدبارك الشهيرة في لندن... انطلقت رصاصات عدة علىٰ سيارة مرسيدس» انتهت بمصرع رجل مجهول بالنسبة إلىٰ أهل لندن وانكلترا عموماً... وبوفاة زوجته وسائقه... هذا الرجل كان القاضي عبدالله الحجري، عضو مجلس الرئاسة السابق في اليمن (أيام حكم رئيس مجلس الرئاسة سيادة القاضي عبد الرحمن الارياني) ورئيس مجلس الوزراء السابق. ورئيس اللجنة المشرفة علىٰ وضع قانون الانتخابات حين قتل.

انتظر العالم أن تضع «سكوتلانديار» يدها علىٰ القاتل بعد أيام من الحادث، وزعت أخبار أن القاتل عرف شكله... وأوصافه... وأنه يعمل لحساب إحدىٰ المنظمات المتطرفة... مضت الأشهر.. وطويت «سكوتلانديار» معلوماتها عن القضية...

القاضي عبدالله الحجري كان بالنسبة إلىٰ السياسيين اليمنيين الرجل الواقعي.. لا يفهم بالرومانسية ولا بالتأوهات.. خبز اليمن وعجنها.. كان مع أسرة حميد الدين الملكية! وكان مع الثورة علىٰ هذه الأسرة.. وعند استلامه رئاسة الحكومة في أوائل السبعينات كانت مشكلة تخطيط الحدود مع المملكة

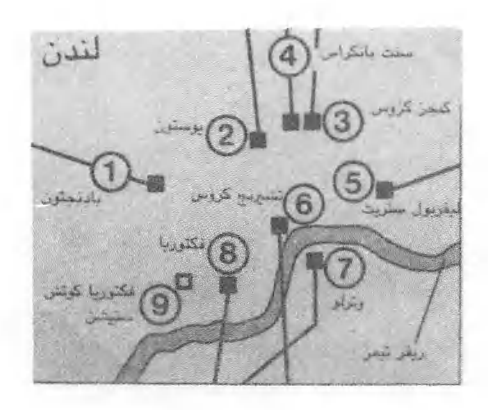
العربية السعودية لم تنتـه. وكان لا يقيم وزنـاً للحدود بـين بلد عربي وآخـر. . . خلال حكمه كرئيس لمجلس الوزراء وقع شخصياً ثمانين حكماً بالإعـدام نفذت كلها.

القاضي عبد الله الحجري كان عند قدومه إلى لندن ينتظر حدثاً سعيداً. . الحـدث هو أن يعـود إلى صنعـاء ليتسلم رئـاسـة الجمهـوريـة بـدلاً من الـرئيس الحمدي ـ الذي اغتيـل بدوره ـ والـذي تقرر أن يعـود إلىٰ الجيش قائـداً للقوات المسلحة فقط لا غير. . .

عاد الحجري إلىٰ وطنه جثة باردة. . وضاعت الآمـال. . والعظمـة لله عزَّ وجل.

* * *

خارطة لشوارع لندن الرئيسية



اغتيالات... بالجملة!

سلسلة طويلة من الإغتيالات السياسية عصفت بالجمهورية العربية اليمنية منذ إعلانها جمهورية مستقلة بعد ثورة ٢٦ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٦٢، وبقيت جميع هذه الإغتيالات محاطة بالغموض فلم يتم التعرف على أي من هوية مرتكبيها، وأهمها التالية:

١ - اغتيال الزعيم اليمني محمد محمود الزبيري في عام ١٩٦٥.

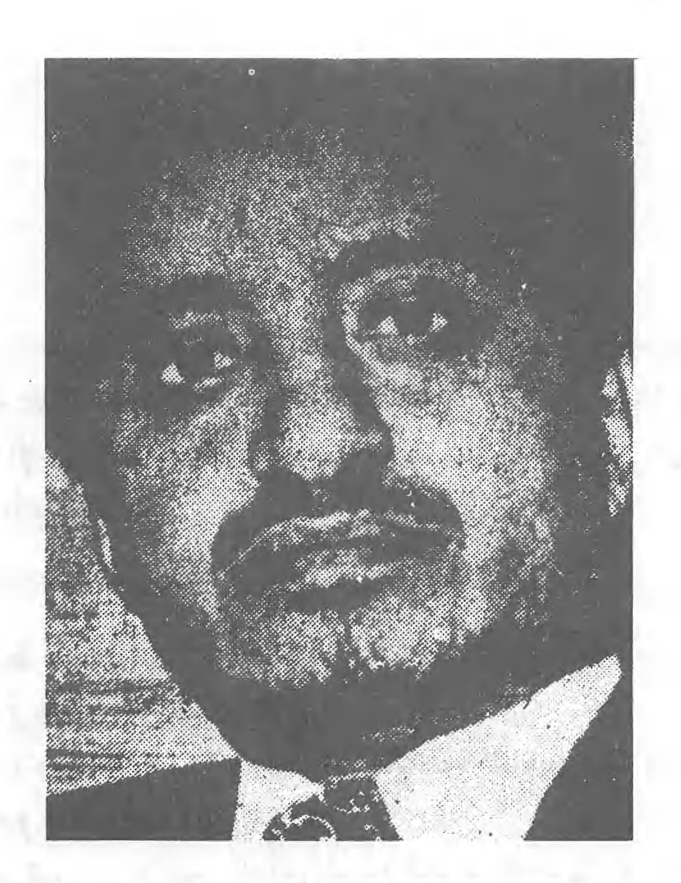
٢ - في أواسط أيار (مايو) ١٩٧٣ اغتيل في صنعاء الشيخ محمد علي عثمان العضو في المجلس الجمهوري اليمني.

٣ - اغتيال السفير محمد أحمد النعمان وزير الخارجية السابق في بيروت شارع الحمراء في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٧٤.

٤ - اغتيال رئيس وزراء اليمن السابق الشيخ عبدالله الحجري، في لندن عام ١٩٧٧.

٥ - في الحادي عشر من تشرين أول (اوكتوبر) ١٩٧٧، تم اغتيال الرئيس اليمني المقدم عبدالله الحمدي، حيث كان الرئيس الحمدي يتناول طعام الغداء في منزل شقيقه بحضور العقيد كناس زهرة قائد لواء المدرعات، فأطلقت عناصر مجهولة النار على الثلاثة فصرعتهم وتمكنت من الفرار.

٦ ـ اغتيـال المقدم أحمـد حسين الغشمي ، في الشهـر السادس من عـام ١٩٧٨، بتفجير حقيبة متفجرة في مكتبه[1].



محمد أحمد النعمان

(١) للتوسع انظر الجزء الأول من كتاب أشهر الإغتيالات السياسية في العالم.

هانس مارتين شلاير

في ٥ أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٧، وفي مدينة كـولون في ألمـانيا، فتـح خمسة رجال النار على سيارة كانت تقلّ هانس مارتين شلاير، رئيس الاتحاد العام للنقابات الصناعية، فقتـل ثلاثـة من مرافقيـه بينهم سائقـه، وخطف شـلاير إلى مكان مجهول.

وأعلن تجمع بادر ماينهوف (الجناح العسكري في الجيش الأحمر) مسؤوليته عن الحادث مطالباً بالإفراج عن (١١) عضواً من منظمة الجيش الأحمر موجـودين في سجون ألمانيا الغربية.

وكـانت ردود الفعل عنيفـة في الصحافـة الألمانيـة خاصـة، وفي الصحافـة الأوربيـة بشكل عـام. فأشـارت صحيفة داي فلت «إلى أن هـذا العمل يفضـح عجز الدولة في وضع حـد للإرهـاب. إن الدولـة لم تعد عـاجزة فقط عن حمـاية الشخصيات، بل عن حماية المـواطن العادي بشكـل عام». أمـا صحيفة اليسـار الليبرالي فأشارت إلى «أن الشخصيات السياسية والاقتصـادية في البـلاد يجب أن تتخذ موقفاً موحداً حول هذا الموضوع». وقالت جريدة أخـرى «إن هذا العمـل يذكر بشيكاغو في العشرينات»!!

وكـانت ردود الفعل في الأوسـاط السياسيـة أعنف. فصرّح المستشـار ويلي

برانت: «إن هؤلاء القتلة يحاولون تدمير الجمهورية. توقفوا عن تشجيع الإرهابيين وتمويلهم وإلاّ فإن هذا البلد سيصبح جحيماً!». وأشار زعيم المعارضة الألمانية إلىٰ أن العنف في ألمانيا هو «حرب ضدّ الحضارة وبداية حرب أهلية».

كل شيء بدأ في الستينات، كانت الجمهورية الألمانية تزدهر، وكان الأمن وكانت المادية دين المانيا وايديولوجيتها. لكن الشبيبة كانت بلا مستقبل. بدأت الشبيبة تثور ضد الجامعة وأساتذتها. وبدأ الحديث عن يساريين ألمان. في العام ١٩٦٨ سقط «رودي» الأحمر قتيلاً برصاص اليمين المتطرف. ثم جاء المستشار ويلي برانت يحمل عصاه وبعض الأمل ولكن. . .

وتاريخ منظمة بادر ـ ماينهوف يبدأ بلقاء في مقهىٰ. كان هناك «أندرياس بادر» وهو صحافي، التقىٰ بالآنسة «ايلان»، وهي ابنة أحد القرويين، وتعلق أحدهما بالآخر، ونشأت بينهما صداقة عميقة، انقلبت إلىٰ حب، ثم حملت «ايلان» صديقها «بادر» إلىٰ أوساط يسارية حيث التقيا «بأولريك ماينهوف»، وبدأ الثلاثة يهاجمون القواعد الأميركية. واعتقل «بادر» و «ايسلان» وفرض علىٰ «بادر» أن يكمل دراسته. ثم استطاع كومندوس انتحاري أن يخطفه داخل الصف. وبدأ (١٥٠) ألف رجل شرطة بالبحث عنه لقاء مكافأة تقدر بسبعمائة ألف مارك! ويعتقل بادر!

مطالب الجيش الأحمر بعد خطف شلاير تتلخص بما يلي:

أولاً: الإفراج عن أعضاء الجيش الأحمر ووضعهم في طائرة تقلهم إلىٰ خارج البلاد.

ثانياً: تنفيذ هذا المطلب تحت إشراف الأمم المتحدة خوفاً من الخديعة.

ثالثاً: إعطاء مئة ألف مارك إلىٰ كل سجين.

رابعاً: وقف التحريات عن الخاطفين. . . وإلاّ تتم تصفية شلاير.

كان رد فعل الحكومة الألمانية لهذه المطالب المماطلة. . بهدف كسب الوقت. وقد حاول ابن شلاير واسمه هانس ارهاد، إطلاق سراح والده ـ بعد

عمليـة خـطف الـطائـرة ـ بمسـاعـدة رئيس مجلس إدارة شـركـة «مـرسيـدس» للسيـارات. إذْ تلقى الاثنان رسـالتين متشـابهتين سلمتهـا فتاة سمـراء يعتقد أن اسمها «شولتز» ومتهمة بعمليتي اغتيـال. على أثـر الرسـائل قـرر ابن شلايـر أن يدفع للخاطفين، في فندق انتركونتيننتاك فدية مقدارها ١٥ مليون دولار أمنها لـه رئيس شركة «مرسيدس» وبالتعاون مع أرباب العمل الألمان. وكانت كلها أوراقاً نقـدية من فئـات صغيرة، بلغ وزنها ١٣٠ كيلوغـرامـاً! وضعت في ٣ حقـائب. لكن الموعد ألغي في اللحظة الأخيرة لأن السلطات الألمانية فضحت أمره.

عندها قـرر شلايـر الابن اللجوء إلىٰ المحكمـة التشريعيـة الاتحاديـة، كي تتخذ قراراً يجبر الحكومة علىٰ الرضوخ لمطالب الخاطفـين وإطلاق سـراح سجناء الجيش الأحمـر. . لكن المحكمة رفضت واتخـذت قراراً يعـطي الحكومـة حـريـة التصرف. . أثناء ذلك كان مكتب مكافحة الجريمة في المانيا الإتحـادية قـد استفتىٰ رأي المساجين حـول البلد الذي ينـوون اللجوء إليـه في حال إطـلاق سراحهم. وقد أجاب (٨) من أصل (١١) أنهم يودون الذهاب إلىٰ اليمن الجنوبية، وامتنع الثلاثة الباقون عن إعطاء أي جواب! إلّا أن هذا السؤال ما كـان سوىٰ خـدعة من الحكومة الألمانية أو بالأحرىٰ عملية كسب وقت بانتظار أن ترتكب المجمـوعة التي اختـطفت شلايـر أية هفـوة أو خطأ يسمـح للشرطـة بالعثـور عـلى أثـر لهم والتدخل للإفراج بالقوة عن الدكتور شلاير. بدليل أن أحـد الوزراء الألمـان قام بجولة عربية لإقناع بعض الحكومـات العربيـة (الجزائـر ـ ليبيا ـ العـراق ـ اليمن الجنـوبي) بعدم تقـديم أية مسـاعدة للخـاطفـين ورفض استقبـالهم، ممـا يضعـف مـوقفهم في المفاوضـات التي تجريهـا السلطات الألمانيـة الغربيـة معهم. ووجدت الحكومة أن التضحية بشلاير هو الحل الوحيد!!

ثم حدث تطور آخـر في هذه القضيـة. . ففي الساعـة ١٢ و٥٥ دقيقة من بعد ظهر الخميس ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) أقلعت طائرة «بوينغ» ٧٣٧، تابعة لشركة (اللوفتهانزا) الألمانية، من مطار بالمادي ماجوريك في جزر الباليار، باتجـاه فـرانكفورت، وعـلىٰ متنهـا ٨٦ راكبـاً ومـلاحـين. بعـد سـاعـة و٢٥ دقيقـة من

إقلاعها، وبينما كانت فوق الريفيرا الإيطالية سجل أحد أجهزة الرادار الفرنسية، أن الطائرة حولت خط سيرها واتجهت نحو الشرق، بعد حوالي نصف ساعة حطت في مطار روما، حيث طلب الخاطفون الذين لم يفصحوا عن هويتهم، أن تملأ الطائرة بالوقود، ثم أكملوا رحلتهم إلىٰ مطار لارنكا في قبرص. هناك أعلن قائد المجموعة البالغ عددها أربعة أشخاص: رجلين وامرأتين، أن اسمه (والتر محمد) وأنه ينتمي إلىٰ مجموعة الشهيد (أحمد) ولكنه لم يعلن عن أية مطالب. بعد ساعتين وخمس دقائق في مطار لارنكا أقلعت اللوفتهانزا باتجاه بيروت، لكن السلطات اللبنانية رفضت السماح لها بالنزول. كذلك مطار دمشق وبغداد.. وبعد أن تاهت عدة ساعات في الجو هبطت مع ساعات الصباح الأولىٰ في مطار البحرين. ثم أقلعت الساعة ٣ و٣٥ دقيقة من صباح الجمعة ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) باتجاه غير معروف، وعادت فنزلت الساعة السادسة صباحاً في مطار دبي. وبين البحرين ودبي حلقت ساعتين ونصف في الجو وحاولت الهبوط في مكان آخر لكن السلطات منعتها.

وفي هذا المطار الصغير المزروع وسط رمال الخليج الحارة حطت البوينغ ٥٦ ساعة و٢٠ دقيقة، توضحت خلالها كل خيوط العملية. واكتشف الألمان تفاصيلها وكان معهم الوقت الكافي لإنقاذ الركاب.

وفي مطار دبي صدر بيان باللغة الانكليزية عن الخاطفين يتضمن ما يلي:

١ ـ إطلاق سراح ١١ سجيناً من جماعة بادر ما ينهوف من بينهم: اندرياس بادر، وغوردون أوسلن، وجان كارل راسب.

٢ ـ إطلاق سراح كل من مهدي وحسين، المعتقلين في تركيا مدىٰ الحياة لهجومهما علىٰ طائرة (العال) الإسرائيلية في مطار استنمبول عام ١٩٧٦.

٣ ـ دفع فدية مقدارها ١٥ مليون دولار.

٤ ـ موافقة أحد البلدان التالية: فييتنام، الصومال، اليمن الجنوبية علىٰ استقبال الأسرىٰ بعد تحريرهم.

٥ ـ علىٰ الطائرة القادمة من ألمانيا وعلىٰ متنها الأسرىٰ المحررين أن تمر علىٰ تركيا

وتأخذ بطريقها مهدي، وحسين، قبل الوصول إلىٰ نقطة هدفها المحددة. وذلك قبل الساعة الثامنة من صباح الأحد ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٧.

٦ - إذا لم تصل المجموعة إلىٰ المكان المحدد في الوقت المحدد، وإذا لم تدفع الفدية فإن شلاير وجميع الرهائن سوق يلاقون حتفهم.

٧ - سوف يطلق سراح جميع الرهائن إذا اتبعت التعليمات بدقة.

٨ - كل محاولة من قبلكم لخداعنا أو تطويل زمن المفاوضات يعني تفجير الطائرة.

ووجدت السلطات الألمانية نفسها في موقع حرج! هل فعلاً هناك ترابط بين عملية اختطاف شلاير وخطف الطائرة؟ هل شلاير لا يزال حياً! من هو الدماغ الذي يقف وراء كل هذا؟

الحيرة لم تدم طويلاً. بعد ظهر الجمعة تلقىٰ مكتب وكالة الصحافة الفرنسية في باريس صورة لشلاير موقعة من سيغفريد هوسنر، الذي يدعي مسؤولية خطفه لشلاير. . وبات واضحاً لدىٰ السلطات الألمانية أن خيطاً واحداً يربط بين خاطفي شلاير وخاطفي الطائرة.

وفي الواقع بعد ساعات قليلة من وصول خبر خطف الطائرة إلىٰ بون، تشكلت فرقة من كتيبة مكافحة الإرهاب. ركبت طائرة خاصة واتجهت نحو الشرق الأوسط ونزلت في مطار لارنكا بادىء الأمر. ثم لحقت بالطائرة المخطوفة إلىٰ كل مكان توجهت إليه. فعندما حطت اللوفتهانزا في دبي نزل الألمان في أنقرة ثم اتجهوا إلىٰ دبي مع ساعات الصباح الأولىٰ ليوم السبت.

وكان المفاوضون الذين ترأسهم «هانس ويشنوفسكي» المعروف باسم «بن ويش» وهو خبير في شؤون العالم العربي، انتدبه المستشار هلموت شميت ليكون ممثله الخاص، وأعطاه صلاحيات التصرف في العملية، يسعىٰ إلىٰ تمديد الوقت للوصول إلىٰ لحظة مناسبة للهجوم. تلك اللحظة كان من المتوقع أن تحدث صباح الأحد في مطار دبي. لكن طقس الخليج المتقلب فضح أمرها. فحوالي الساعة الثالثة صباحاً حاول الألمان مهاجمة الطائرة مستفيدين من الضباب

الذي كان يلف المطار. لكن الضباب انقشع فجأة وانكشفت سيارة الإسعاف التي كانت تستخدمها فرقة الكوماندوس للتمويه.

هنا أحس الخاطفون أن كميناً يدبر لهم. حاولوا منذ البداية أن يتجنبوا الأخطاء التي ارتكبها زملاؤهم في مطار (عنتيبي). لم ينزلوا من الطائرة. لم يسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج. لم يطلقوا سراح أحد من الرهائن لا العجائز ولا الأطفال وذلك كي لا يعرف الألمان عددهم الحقيقي. ولكن يبدو أن قائد الطائرة «جورغن شومان»، الذي قتل فيما بعد، قد أعطى رئيسه «بن ويش» كل المعلومات المطلوبة عن عدد الخاطفين ونوع الأسلحة، بواسطة شيفرة خاصة.

وبدا أن الزمن ليس لصالح الخاطفين. وأن تعقيدات كثيرة تقف في طريقهم خصوصاً أن الدول التي كانوا يعتمدون عليها رفضت استقبالهم. وكان موعد التفجير قد بدأ يقترب والعالم يحبس أنفاسه. ماذا تراه سيحدث الساعة التاسعة من صباح الأحد؟ لا شيء فقد مددت المهلة إلى الساعة الواحدة.

المفاجأة أن الساعة ١٢ و١٥ دقيقة دار محرك الطائرة وأقلعت من دبي باتجاه غير معروف تبعتها الطائرة الألمانية.

عدن كانت خيبة الأمل الكبرى بالنسبة للخاطفين. فالاستقبال الذي لقيهم لم يكن مشجعاً على الإطلاق.. . ودار حوار عنيف بين الطيار والخاطفين.. انتهى إلى مقتل الألماني فوق رمال عدن. والسبب أن الكابتن شومان رفض الإقلاع لأنه اعتبر طائرته غير صالحة للطيران بعد ارتطام مقدمتها في رمال مطار عدن. وأصر الخاطفون على الرحيل من عدن، لأن تعليمات صدرت إليهم بذلك. وهنا أطلقوا النار على رأس شومان! ووضعوه في إحدى الخزائن! أما كيف أقلعت الطائرة دون طيار فهذا أمر آخر.

كان هناك أربعة من الطيارين بين الركاب.. ويبدو أن هؤلاء هم الذين قادوا المرحلة الأخيرة من الرحلة وحطوا في الساعة الثالثة من صباح الاثنين ١٧

تشرين الأول (اوكتوبر)، في مطار مقاديشو في الصومال. حيث كانت الليلة الأخيرة من عمر الخاطفين.

طائرة «بن ويش» وجماعة مكافحة الإرهاب أقلعت بدورها. لكن السلطات الصومالية رفضت السماح لها بالنزول. فعاد المبعوث الألماني إلى إحدىٰ الدول العربية ـ التي ضغطت علىٰ الصومال ـ ورجع في اليوم التالي إلىٰ مقاديشو حيث استقبل بالترحاب، وتشكلت لجنة وزارية للتفاوض مع الخاطفين انتقلت إلى المطار وانضم إليها المبعوث الألماني شخصياً. وإذا كانت حكومة عدن قد أفهمت الخاطفين أنهم غير مرغوب فيهم في اليمن، فإن حكومة الصومال لم تفعل ذلك، بل جعلتهم يعتقدون أنهم حصلوا علىٰ الأمان. وفي نفس الوقت أعطت جميع التسهيلات اللازمة للكوماندوس الألماني كي تتم عملية الإنقاذ بنجاح.

منذ البداية، ورغم محاولة الضغوط من جهات كثيرة داخل ألمانيا. . . رفضت الحكومة الألمانية المساومة. . . وفي الساعات الأولىٰ من ليل الاثنين نزل الكوماندوس الألماني في مقاديشو، وقبل منتصف الليل بقليل بدأوا عملية سريعة استمرت ٦ دقائق انتهت بمقتل ثلاثة من الخاطفين وإصابة الرابع إصابة خطيرة، وتم تحرير الرهائن.

كيف تمت العملية؟

في الساعات الأولىٰ من الليل، قطع التيار الكهربائي في المطار. وتقدم الألمان مستفيدين من الظلام ووصلوا إلىٰ أسفل الطائرة. وأحس الخاطفون أن شيئاً ما في الجو. فطلبوا من المطار أن تعود الكهرباء فوراً وإلاّ فجروا الطائرة. ولكن برج المراقبة حاول إفهامهم أن المطار ليس مجهزاً. وأن انقطاع الكهرباء في بلد مثل الصومال هو عملية روتينية!! في هذا الوقت كان الكوماندوس الألماني، يضع علىٰ أبواب الطائرة نوعاً من المتفجرات الخاصة التي تدفع الأبواب إلىٰ الخارج لحظة التفجير. وقبل منتصف الليل شنوا هجوماً مفاجئاً نسفوا الأبواب

ودخلوا الطائرة. وكان اثنان من الخاطفين يقفان بالقرب من الأبواب فقتلا في الانفجار. ودارت معركة قصيرة مع الفتاتين الخاطفتين الباقيتين، كانت نتيجتها إصابة مضيفة إصابة طفيفة، ومقتل إحدىٰ الخاطفات وجرح الثانية.

واتضح فيما بعد أن الفتاة التي بقيت علىٰ قيد الحياة، ليست سوىٰ «غابريلا كروشر تياديمان» التي اشتركت مع كارلوس في عملية ضد منظمة الأوبيك...

وصباح الثلاثاء وبعد أن وصل خبر العملية إلىٰ ألمانيا، أقدم أعضاء جماعة بادر ماينهوف، الذين كان رفاقهم قد طالبوا بإطلاق سراحهم علىٰ الانتحار داخل السجن. فقد أطلق اندرياس بادر النار علىٰ رأسه داخل زنزانته! كذلك فعلت غوردن ايسلان صديقته! وتبعهما رفيقهما جان كارل راسب، الذي نقل إلىٰ المستشفىٰ حيق فارق الحياة!!

● اندرياس بادر ٣٤ سنة صحافي. والده مؤرخ. يعتبر مخطط العمليات ورئيس المجموعة.
● غوردن ايسلان ٣٧ سنة، معلمة مدرسة وابنة مرشد اجتماعي صديقة بادر.

● جان كارل راسب ٣٣ سنة عالم اجتماعي.

الثلاثة محكومون بالسجن المؤبد مرتين لخمس جرائم قتل و٥٤ جريمة اغتيال.. والسؤال الآن:

هل فعلاً أقدم هؤلاء الثلاثة علىٰ الانتحار؟ وفي نفس الوقت والأسلوب!؟ إن إطلاق الرصاص علىٰ الرأس يفترض وجود ٣ مسدسات لكون الثلاثة موجودين في أماكن مختلفة؟

هل انتحروا؟ أم تمت تصفيتهم كي ترتاح ألمانيا نهائياً من المطالبة بالإفراج عنهم؟ كما حصل لأرليك ماينهوف وهولجر ماينز منذ سنوات! ألمانيا ما تزال تؤكد للعالم أن بادر انتحر ولم يقتل... وبمصرع هؤلاء الثلاثة ضعفت منظمة

بادر ماينهوف بصورة واضحة.

بقي أن نذكر أن المسكين شلاير اغتاله الخاطفون ووجدت جثته في فرنسا[1].

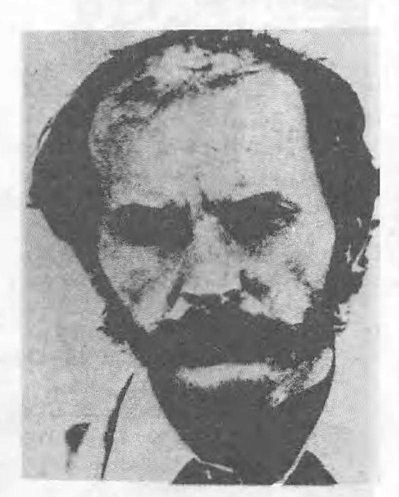
وجوه من منظمة بادر ماينهوف



صورهم على الجدران: بينهم عدة نساء.. ومكافأة لمن يرشد إليهم: سبعمئة ألف مارك



سوزان البراشت: مولودة في أول آذار ١٩٥١



سايغفر هاغ: مولود في ١٥ آذار ١٩٤٥

(١) المستقبل العدد ٣٥ تشرين الأول ١٩٧٧.







كريستيان كلار: مولود في ٢٠ أيار ١٩٥٢

سالك ماير ـ وات: مولودة في ٢١ كانون الثاني ١٩٥٠



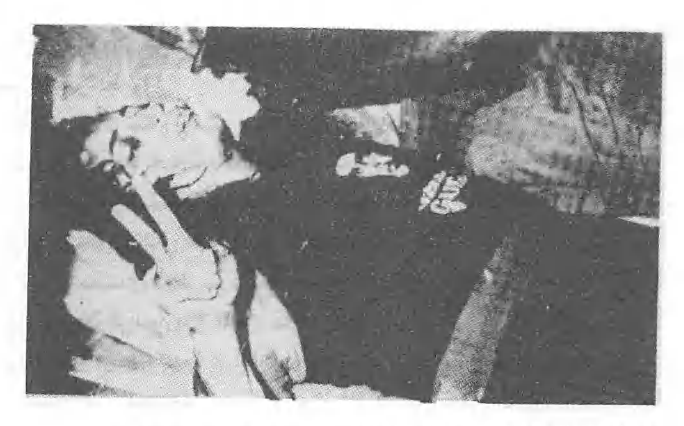


الطائرة المخطوفة في مطار مقاديشو





ليلى خالد . . . رائدة خطف الطائرات
عام ١٩٧٢



خاطفة الطائرة الألمانية «لوفتهنزا» إلى مطار مقاديشو في في ١٩٨٠



كراب — راسب

روسنر — سوننبرغ — بيكر

في سجون ألمانيا الفيديرالية اليوم أكثر من ثمانين إرهابياً قاموا بعمليات عدة فمن هم الأشخاص الـ ١١ الذين طالب بهم خاطفو الطائرة؟

■ بادر (٣٤ سنة) انسلين (٣٧ سنة) راسب (٣٣ سنة) الثلاثة أدينوا بالسجن مدى الحياة لارتكابهم عشرة جرائم قتل، و٥٤ محاولة اغتيال، واستعمال قنابل يدوية في محاولاتهم الإجرامية، وحجز الرهائن وحمل أسلحة ممنوعة. أما مانس ومايبهوف اللذان اشتركا في العمليات فقد توفيا، الأول انتحاراً والثاني أضرب عن الطعام حتى الموت.

■ فيرينا بيكر (٢٥ عاماً) اتهمت ورفيقها سوننبرغ بمحاولة اغتيال شرطيين.

■ كارل دلو (٢٥ عاماً) وجان كراب (٣١ عاماً) حكم عليهما بالسجن مدى الحياة لاشتراكهما في الاعتداء على السفارة الألمانية في ستوكهولم في أيار (مايو) عام ١٩٧٥، واتهما أيضاً بجريمتي قتل، وبهجوم مسلح استعملا فيه المتفجرات.

■ براند روسنر اشترك أيضاً في عملية ستوكهولم.



شوبـرت — بادر — هـوب

مولـر — انسلين — دلو

■ لوتز توفر ادين لاشتراكه في عمليـة ستوكهـولم، وقد حـاول للاضراب عن الـطعام فلم يستطع احتمال الجوع.

■ ورنر هوب (٢٨ سنة) مسجون تحت حراسة مشددة وفي غرفة إفرادية في هامبورغ.

■ انغريد شوبرت (٣٢ سنة) وهي مساعدة طبيب سابقة. ألقي القبض عليها عام ١٩٧٠ في برلين، وهي تحاول مساعـدة بادر عـلى الهرب، وحكم عليهـا بست سنوات سجن استـطاعت الهرب، وحين عثر عليها مجدداً عام ١٩٧٤ أدينت بثلاث عشرة سنـة من السجن في ميونيـخ، لاشتراكها في ثلاث عمليات سطو مسلح.

■ ايرمغارد مولر (٣٠ سنة) أدينت لاشتراكها في عصابة مسلحين ولصـوص. وقبض عليها بعد عملية الهجوم بالمتفجرات البلاستيكية على الحي الأميركي في ميونيخ.

ادوار بالمر



مستشــرق انكليـزي من عمــلاء الإستعمـار البـريـطاني. ولــد في آب (أغسـطس) (١٨٤٠)، في مـدينـة (كمبـردج). وتعلم في المـدرسـة اليـونـانيــة واللاتينية، ثم ولـع باللغـة الإيطاليـة. وعند نهايـة (١٨٦٠) التقى وتصادق مـع سيد عبدالله الذي كان يعمل موظفاً في الحكومة الهندية، وقد جاء إلىٰ (كمبرشج) ليسعىٰ في الحصول علىٰ وظيفـة أستاذ للغـة الهندستـانية، في كمبـردج، فأعجب بالمر بمعـرفته بلغـات عدة شـرقية. فـراح يتلقىٰ منه دروسـاً في اللغتين الفـارسية والأورديـة، وانضافت إليهـا العربيـة.. ودخل جـامعة (كمبـردج)، وفي الوقت نفسه كان يدرّس العربية ويفهرس المخـطوطات العـربية والفـارسية المـوجودة في مكتبة كلية الملك ومكتبة كلية الثالوث، ويعمـل مراسـلاً أجنبياً بـاللغة الأورديـة لجريدتـين هنديتـين، وصار زميـلاً في كلية سـانت جونْ في (١٨٦٧). وفي نفس السنة أصدر أول إنتاج له وهو كتابه (التصوف الشرقي) وهو ترجمة لرسالة باللغة الفارسية، عثر عليها وهو يقوم بفهرسة المخطوطات الفارسية.

وحدث أن أنشئت هيئة «لاستكشاف فلسطين» بغرض «اكتشاف الارتباط بين التاريخ المقدس والجغرافيا المقـدسة» أي المتعلقـين بالكتـاب المقدس. وكـان من ضمن برنامجها استكشاف جزيرة سينـاء ومسيرة بني إسـرائيل في صحـرائها. ويقترح المشروع «تتبع بني إسرائيل في رحلاتهم الكثيرة من مصر إلىٰ سيناء، ومن

سيناء إلىٰ قديش، ومن ثم إلىٰ أرض الميعـاد». وتألفت البعثـة الاستكشافيـة من سـير هنري جيمس، رئيس مسـاحة المـدفعية، ومن كـابتن تشارلـز ولسـون، من هيئة سلاح المهندسين الملكية، ومن بالمر بوصفه مترجماً وجامعاً للنقوش وبـاحثاً. ويقول بالمر:

(كان عملي يقوم أساساً في الحصول من البدو علىٰ أسـماء الأماكن في شبـه جزيرة سيناء، بينما كان الضباط يقومون بالمساحة)، كان هو يستعين بمن يجـد من البدو ذكياً في موضع ما؛ فيسأله عن أسماء الأماكن في هذا المـوضع، وفي الـوقت نفسـه عني بتسجيل عـادات البدو وأعـرافهم. وعادت بعثـة كـابتن ولسـون إلىٰ انكلتـرا في صيف ١٨٦٩. ثم عـاد بـالمـر في (١٨٧٠) مـع شـاب يـدعىٰ تشارلزدريك،لاستكشاف سيناء مرة أخرىٰ، خصوصاً في شمالي شرقيها. وكـان يهدف خصوصاً إلى تحديـد موقـع قديش، والبحث في أرض مـواب عن نقوش. وسـافر إلىٰ القـدس حيث نقل الكتـابات الكـوفية المـوجـودة عـلىٰ قبـة الصخـرة واستكشف القـدس القديمـة. ثم سـافـر مـع زميله إلىٰ لبنـان ومنـه إلى دمشق، واللاذقية، وواصل السفر إلىٰ استـانبول، وقـد وصف هذه الـرحلة في كتاب من جزئين مع إيضاحات عديدة ورسوم قام بها زميله دريك...

وفي عام ١٨٧٦ أصدر الجزء الأول من ديوان البهاء زهير، وهو مطبوع في مطبعة جامعة كامبردج طبعـة جميلة. وتلاه في ١٨٧٧ بتـرجمة كـل قصائـد البهاء زهير إلىٰ الانكليزية نظماً... والحق أن ترجمة بالمر لشعـر زهير فيهـا من الرشـاقة والجمال مثل ما في الأصل... ثم اتجه بالمر إلىٰ العمل في الصحافة، فعمل فترة قصيـرة في صحيفـة «ديـلي نيـوز»، وبعـدهـا انضم إلىٰ هيئـة تحـريـر صحيفـة «استاندرد»، وذلك في النصف الأول من عام ١٨٨٢، بسبب ضآلة راتبـه أستاذاً في كمبردج!

وفي نفس السنة (١٨٨٢) أصدر كتابه «النحو المبسط للغات الهنـدوستانيـة والفارسية والعربية».

ولما راحت بريـطانيا في عـام ١٨٨٢ تدبـر لاحتلال مصـر، دعاه الـرئيس

الأول للبحرية البريطانية، لورد نورتبروك، في يوم ٢٧ حزيران (يونيـو) ١٨٨٢، لمقابلته وفي المقابلة أخبره أن بريطانيا تريد الاستفادة من خبرته الجغـرافية بسينـاء واتصـالاتـه بـأهلهـا من قبـل، لكي يتصـل ببـدو سينـاء ويؤلبهم ضـد مصـر، ويستخدمهم لتأمين الجانب الشرقي من قناة السـويس لصالـح بريـطانيا. ووافق بالمر علىٰ القيام بهذه المهمة الـدنيئة التي لا تليق بعـالم أبداً. وقـد وصف صديقـه وولتر بيزنت هذه المهمة بدقة فقال:

«كانت مهمة بالمر كما فهمها ما يلي: كان يمكن أن يذهب إلىٰ صحراء شبه جزيرة سيناء. وكان عليـه أن يذهب إلىٰ هنـاك بأفضـل طريق، وعـلىٰ مسؤوليته وحده. وكان عليـه أن ينتقل من قبيلة إلىٰ قبيلة، أولاً من أجـل أن يعرف مـدىٰ الإهتياج بين الناس، وإلىٰ أي مدىٰ كانوا يميلون لـلإنضمام إلىٰ «عـرابي باشـا». وثانياً حاول بالمر أن يفصل مجموع القبائل، إذا استطاع عن القضيـة المصريـة». ومن أجل هذا كان عليه أن يقوم بإجـراء ترتيبـات مع الشيـوخ، فكان عليـه أن يعرف ما هي الشروط التي يستطيع بها أن يجعل شعب سيناء يلتزم السكون، أو عند الضرورة أن ينضموا إلىٰ القوات البريطانية ويحاربـوا في صفها (ضـد الجيش المصـري)، أو أن يعمل بـطريقة أخـرىٰ من شأنها خـدمة مصـالحنـا (المصـالـح البريطانية) علىٰ خير وجه... وكـان تأمـين سلامـة قناة السـويس يبدو في ذلـك الوقت أهم نقطة علىٰ الإطلاق لخشيتهم من تدمير القناة على يد أحمد عـرابي... ولا محل هنا لإطالة الحديث عن هذه المهمة القذرة التي أخذها بـالمر عـلىٰ عاتقـه عن وعي تام.. لذلك نقول إنه سافر إلىٰ الإسكندرية، ومنها إلى يافا حيث نزل إلىٰ البر. وتوجه إلىٰ غزة حيث كـان قنصل انكلتـرا فيها قد دبر له اللقـاء مع أحـد شيـوخ العرب في غـزة، ويدعىٰ سليمـان. ووصل غـزة في ١٣ (تموز) (يـوليـو) ١٨٨٢. وكان الإنكليز قد ضربـوا الإسكندريـة قبل ذلـك بيومـين، في يوم ١١ تموز (يوليو)، إيذاناً بغزوهم لمصر. وبعد أن أقام عشرة أيام مع الخائن سليمان، مضىٰ متجهـاً إلىٰ السـويس، راكبـاً جمـلاً. واتصـل ببعض العـرب من قبيلة طرابين. وكان يلبس لباساً عربياً كاملاً «مثلما العربي المسلم في المدن»، كما قال. واتصل بقبيلة تدعىٰ «التياهة» يقول إنها أقوىٰ القبائل العربية في سينـاء وأشدهـا

قدرة علىٰ القتال!! ويرحل في يوم ٢٠ تموز (يوليو) ١٨٨٢، إلىٰ مضارب خيام الشيخ سليمان، فوجد أخاه ـ وكان مكلفاً من قبل الحكومة المصرية بحماية الحجاج أثناء مرورهم بسيناء ـ ويقول بالمر:

إن هذا الأخ كان الرجل الذي يحتاج إليه. لقد أقسم بمغلّظ الإيمان بأنني لو طلبت منه لضمن سلامة القناة حتى ضد عرابي باشا، وقال إنني لو استطعت أن أخرج من السجن ثلاثة شيوخ، وهو ما آمل أن أفعله عن طريق القسطنطينية (الباب العالي) وسفيرنا، فإن كل العرب سيقومون قومة رجل واحد وينضمون إلينا.

وتعرف بالمر في بواته، إلىٰ شيخ يدعى مطر أبو صوفية أو (صفية)!؟ وهو بدوي طويل في السبعين من عمره، فاستخدمه بالمر لإرسال الرسائل إلىٰ السويس. ووصل بالمر إلىٰ السويس في أول آب (أغسطس)، وأقام علىٰ ظهر باخرة. وكان بالمر يعمل خصوصاً علىٰ شراء الجمال للجيش البريطاني. وفي برقية بعث بها سير بوشانب سيمور إلىٰ الأميرالية كتب يقول:

«كتب إليَّ بالمر رسالة من السويس بتاريخ أول آب (أغسطس) أنه لو أرسلت إليه تعليمات محددة متعلقة بالخدمات المطلوبة من البدو وزوّد بالأموال، فإنه يعتقد أنه يستطيع شراء ولاء خمسين ألف بدوي مقابل عشرين أو ثلاثين ألف جنيه»!!؟ وردت الاميرالية ببرقية إلىٰ هيوت تقول فيها: «أصْدِرْ تعليمات إلىٰ بالمر كي يحتفظ بالبدو مستعدين للقيام بالدوريات أو النقل علىٰ القنال. ويمكن دفع مبلغ معقول، أما التعهد بمبالغ أكبر فلا يكون إلاّ بعد وصول الجنرال واستشارته».

وأخذ بالمر مبلغ ثلاثة آلاف جنيه للقيام بهذه المهمة، وكان معه أربعة أشخاص آخرين هم:

ــ كابتن وليم جون جل.
ــ هارولد شارنجتون.

ـ خليل عتيق (خادم).
ـ باخور حسون (خادم يهودي).
ـ مطر أبو صوفية أو (صفية).
ـ سلامة بن عياض.. وعدد من الجمّالين..

وقد نصب بعض البدو كميناً لأولئك الأشخاص واقتادوهم إلى وادي سُدْر (في الجنوب الغربي من سيناء) وقتلوهم وألقوا بهم في وادٍ سحيق! وذلك حوالي العشرين من آب (أغسطس) ١٨٨٢.

وهكذا نال بالمر الجزاء العادل، عما قام به من تجسس ودسائس وتآمر، للتمهيد لغزو بريطانيا لمصر واحتلالها.

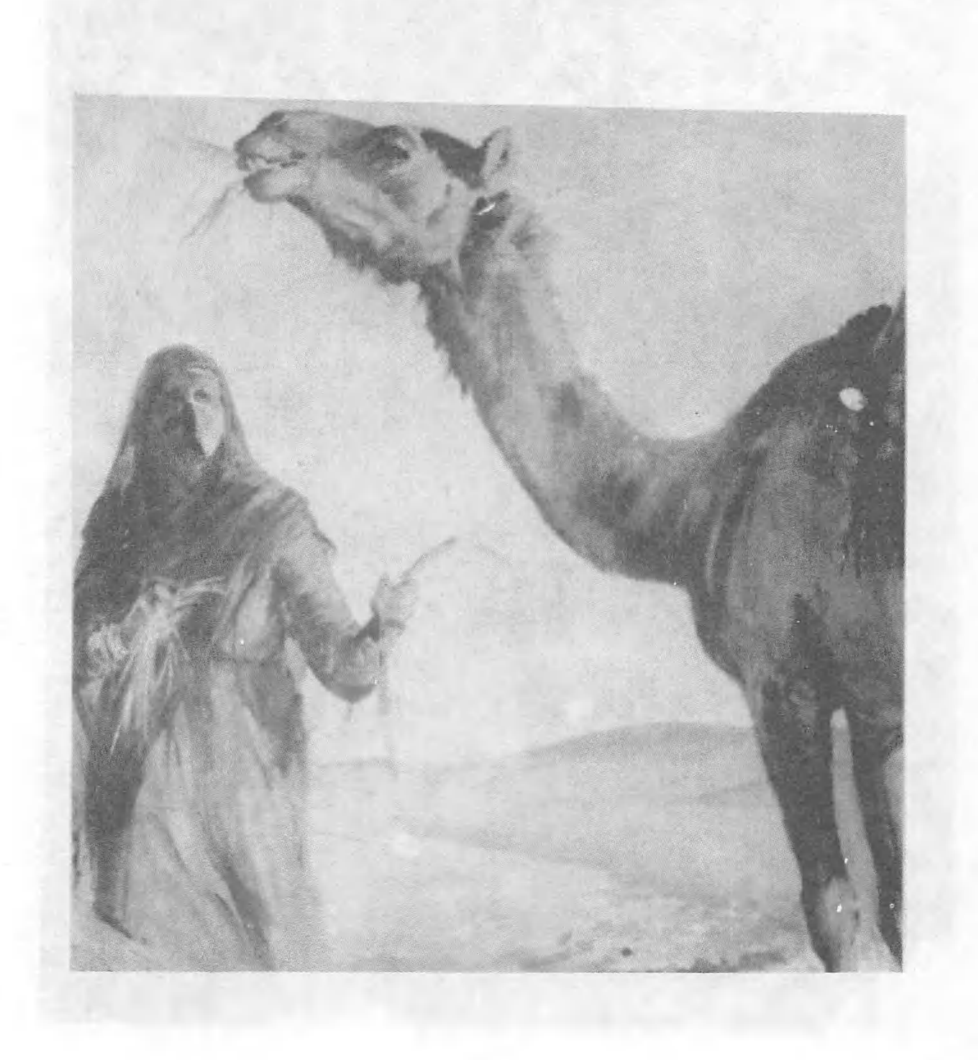
وما كان لبالمر وأمثاله أن يستحق نهاية غير هذه بل وأبشع، حتى إن مواطنه آرثر آربري يقول:

إن بالمر يستحق هذه النهاية، لأنني أؤمن، وبكل قوة ورسوخ، أن المهمة الحقيقية للعالم هي العلم، وليس السياسة والتجسس[1].

---

(١) موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ط ١ (١٩٨٤)، ص ٤٢ ـ ٤٧.
ملاحظة: بالمر.. وعصام السرطاوي.. وطلعت باشا.. يمثلون نبتاً شاذاً بين شخصيات الكتاب.. لذلك جمعتهم في فصل خاص.







طلعت باشا

سياسي ورجل دولة تركي. ولد في ادرين عام ١٨٧٢، وعمل في إدارة البريد والتلغراف في سالونيكا. كان من أوائل الذين انضموا إلىٰ تركيا الفتاة ولجنة الاتحاد والترقي، ومن أنشط منظمي الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد.

انتخب بعد الانقلاب نائباً في المبعوثان، وشغل مناصب وزارية عديدة، منها منصب وزير الداخلية. وفي الفترة الواقعة بين ١٩١٣ و١٩١٨، أصبح طلعت باشا أحد قادة اللجنة الثلاثية الحاكمة مع (أنور باشا، وجمال باشا الملقب بالسفاح). وفي عام ١٩١٧ تسلم منصب رئاسة الوزارة. وعلىٰ أثر نهاية الحرب العالمية الأولىٰ وهزيمة تركيا المتحالفة مع ألمانيا اضطر إلى الهرب من تركيا، ولقي حتفه في برلين عام ١٩٢١، علىٰ يد شاب أرمني انتقاماً لضحايا الأرمن علىٰ يد الحكام الأتراك.

عرف عن طلعت شوفينيته ومحاربته للأماني والحقوق العربية، وميله نحو التحالف مع اليهود والصهاينة ضد عروبة فلسطين.[1]

---

(١) موسوعة السياسة، ج ٣، ٧٨٥.



عصام السرطاوي

في العاشر من نيسان (أبريل) العام ١٩٨٣، كان الدكتور عصام السرطاوي، يمثل منظمة التحرير في المؤتمر السادس عشر للأممية الاشتراكية في البرتغال. فتعرض هناك إلى عملية اغتيال أودت بحياته.. وقد اتهم من قبل الجهة الفلسطينية التي نفذت به حكم الإعدام أنه «عميل للمخابرات الإسرائيلية، والمخابرات المركزية الأمريكية، وأنه عدو الشعب الفلسطيني والأمة العربية، أراد إذلال الفلسطينيين!!

وتجدر الإشارة إلى أن عصام السرطاوي عضو المجلس الوطني الفلسطيني هو مهندس الحوار الفلسطيني مع اليسار «الإسرائيلي»... كما أنه دعا منظمة التحرير إلى إعتراف «بإسرائيل» بهدف أن تعترف أمريكا بمنظمة التحرير...

وقد تفاوتت ردود الفعل على عملية الاغتيال، ولوحظ أن معظمها اقتصر على العواصم الغربية.. في «تل أبيب» أبلغ الناطق بلسان حكومة «بيغن» الصحافيين قوله: إن مصرع الدكتور السرطاوي مثال آخر على اغتيال العرب الذين يوافقون التحدث إلى «إسرائيل» مشيراً إلى اغتيال أنور السادات.

أما يوري افنيري زعيم حزب شيلي، وأحد صانعي الحوار بين ما يسمى (اليسار الإسرائيلي) ومنظمة التحرير فقد قال: (إن اغتيال السرطاوي يعد بمثابة

ضربة قاضية لقضية السلام والحوار بين «إسرائيل» والشعب الفلسطيني) . كذلك فإن ريغان علق علىٰ الإغتيال : (حسناً أعتقد أن مثل هذا الأمر هو دائماً مأساة وهو دليل ملموس علىٰ ذلك النوع من العنف الذي نحاول استئصاله)[1] .

بقي أن نذكر أن معظم الأشخاص الذين دعوا للحوار بين منظمة التحرير واليسار «الإسرائيلي» قد تعرضوا للإغتيال .



(١) الموقف العربي، العدد ١٣١ ، ٢٣ نيسان ١٩٨٣ .



اولوف بالمه

استيقظ شعب السويد صباح السبت الباكر الواقع في ١ آذار (مارس) ١٩٨٦، على صوت الموسيقى الكلاسيكية الحزينة التي كانت تسبق إعلاناً مكرراً عن فجيعة السويد باغتيال رئيس وزرائها اولوف بالمه على يد مسلح مجهول أطلق عليه رصاصتين قاتلتين، وأصاب زوجته بجروح بعد خروجهما من إحدى دور السينما.

وأصيب السويديون بصدمة شديدة فور تلقيهم نبأ اغتيال بالمه (٥٩ عاماً)، الذي يعتبر أول حادث من نوعه في السويد والدول الاسكندنافية الأخرى في العصر الحديث.

واتخذت السلطات السويدية إجراءات أمنية لم يسبق لها مثيل تضمنت فرض حصار أمني مشدد للغاية على موانىء ومطارات السويد، للتحقق من هوية كل شخص يغادر البلاد، نظراً لتمكن القاتل الذي ذكر أنه في منتصف العمر من الفرار بعد إطلاق النار على بالمه وزوجته اليزابيت.

وأغارت قوات الشرطة في أكبر عملية بحث من نوعها على منازل الأشخاص الذين تحوم حولهم الشبهات.. وطوقت مناطق في وسط ستوكهولم.. واستجوبت عشرات الأشخاص.. إلاّ أن القاتل ظلّ طليقاً...

كان اولوف بالمه رمزاً للاشتراكية الديمقراطية السويدية منذ قرابة ربع قـرن كما كان من أشهر الشخصيات السياسية في بلاده.

فقـد شغل بـالمه منصب رئيس الـوزراء في الفتـرة من ١٩٦٩ ـ ١٩٧٦ ثم شغل المنصب نفسه مـرة أخرى في عـام ١٩٨٢، ثم أعيد لـرئاسـة الوزراء بعـد الانتخابات التشريعية. . .

وكان بالمه أستاذاً جامعياً مرموقاً و «تكنوقراطياً» لامعاً وتمسك بصنع سويـد حـديثة ذات إنجـازات اجتماعيـة مثاليـة، وصناعـات متـطورة ذات قـدرة عـلىٰ المنافسة، وفي الوقت نفسه عمل علىٰ تطوير سياسة بلاده الخارجيـة في ظل حيـاد فعال، وتأييد لنزع السـلاح، وفي صالـح دول العالم الثـالث ومن أجل مكـافحة العنصرية.

وقـد ولد بـالمه عـام ١٩٢٧ من أسرة مـوسرة في ستـوكهولم، وكـان مولعـاً بالسياسة منذ دراسته الجامعية، وتأثـر بشدة من حـالات اللامسـاواة والظلم التي لمسها خلال زياراته لأميركا ودول العالم الثالث الأمر الذي دفعه سريعاً إلىٰ الاتجاه نحو الاشتراكية الديمقراطية منذ عام ١٩٤٩.

وقد أعجب «تاجي ايرلاند» رئيس الـوزراء حينذاك بنشـاط بالمـه وطاقتـه الكبيـرة في العمل فعينـه سكرتيـراً خاصـاً له حيث خلف بـالمه في قيـادة الحـزب والحكومة عندما اعتزل ايرلاند العمل السياسي في عام ١٩٤٩.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن بالمه، الذي يتحدث الانكليزية والألمـانية والفـرنسية بطلاقة، كان نائباً لرئيس الـدولة الاشتـراكية وعـرف كيف يمد نشـاطه فيـما وراء حدود بلاده.

وقـد ترأس بـالمه مجمـوعة دراسـات حول المـوقف في الجنوب الافـريقي، وكلفته الأمم المتحدة بمهمة وساطـة في الحرب العـراقية ـ الإيـرانية. واشتـرك في أعمال لجنة «برانت» حول الحوار بين الشمال والجنوب. ورأس منـذ عام ١٩٨٠ لجنة دولية مستقلة حول نزع السلاح.

وكان اولوف بالمه قد شن حملته الانتخابية عام ١٩٨٥، بالتأكيد على أنه يريد إبقاء السويد على «الطريق الصحيح» وهو الطريق الذي ينتهجه منذ عام ١٩٨٢، وهو العام الذي وعد فيه بإخراج السويد من الأزمة الناجمة عن حكومة «خصومه البورجوازيين» الذين كانوا في الحكم في الفترة من ١٩٧٦ - ١٩٨٢.

* * *

هل كان ذلك جادث اغتيال سياسي؟ أم أكان جريمة ارتكبت بقصد السرقة أو حادث ارتكبه أحد المختلين عقلياً؟ أو أحد مدمني المخدرات وهم كثيرون في وسط المدينة!؟ وهكذا فإن الدوائر الحكومية والمحققين والمراقبين عاجزون عن معرفة الحقيقة بين هذه التخمينات والظنون. . . وكل ما عرف أن رئيس الوزراء وزوجته فعلوا مثلما يفعل آلاف من أبناء ستوكهولم الذين يخرجون عادة مساء أيام الجمعة، وتوجه الاثنان إلى دار كبيرة للسينما تعرض الفيلم السويدي (الأشقاء موزارت) وهو فيلم يتناول الحالة النفسية للمثلين الذين يتعين عليهم تمثيل «اوبرا» للمؤلف الموسيقي الشهير. ولم يكن مع بالمه حرسه الشخصي، وتلك عادته في معظم الأحيان عندما لا يكون في مهمة رسمية. ووقع الحادث وهو في شارع «سفيفا يجن» الشارع الرئيسي في ستوكهولم، وذلك على مسافة مائة متر من دار السينما. . . عندما دوت فجأة عدة طلقات نارية.

وقد أصيب بالمه في صدره وسقط من فوره على الأرض وأصيبت زوجته في ظهرها وانهارت إلى جانبه.

لقد قتل «بالمه» في نهاية يوم عمل «طبيعي» ولم يتلق فيها يبدو أي تحذير خاص. والحقيقة أن أجهزة الأمن تتكتم على التهديدات التي يتلقاها بعض أعضاء الحكومة خاصة «أنيتا غرادين» وزيرة الهجرة منذ أن أخذت السويد ترفض طلبات اللجوء التي تتلقاها من رعايا دول الشرقين الأدنى والأوسط دون دوافع سياسية ظاهرة.

وكانت السلطات قد تلقت تحذير من انفجار قنبلة في عام ١٩٦٩، عند

انعقاد الجلسة الختامية لمؤتمر الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي اختار بالمه رئيساً له حينئذ واتضح أن التحذير كاذب.

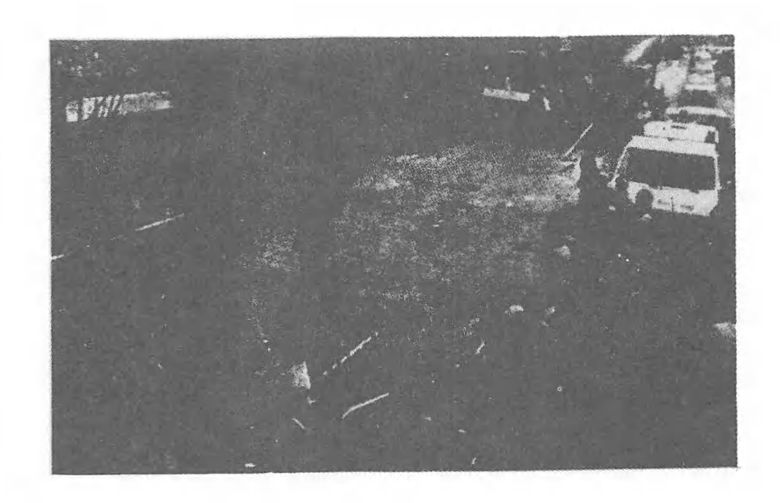
ومنذ ذلك الحين تلقت السلطات تحذيرين مماثلين ولكن دون وقوع شيء وأدى هذان التحذيران إلى تأخير إقلاع طائرة كان يستقلها رئيس الوزراء في طريقه إلى واشنطن عام ١٩٧٠، ثم تأخير طائرته فيما بعد وهو في طريقه إلى ألمانيا الاتحادية للقاء (فيلي برانت) رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني الغربي ورئيس الدولية الاشتراكية وكان بالمه نفسه أحد نواب برانت.

ولم يكترث بالمه بهذه التهديدات. وكان يقول بطريقة فلسفية: «إن ذلك من الأمور المعتادة في الحياة عندما يمارس المرء مسؤوليات سياسية»[1].

(١) القبس الكويتية، ٢ آذار (مارس) ١٩٨٦، العدد ٤٩٥٩.



ملك السويد كارل غوستاف يذيع بياناً عن الجريمة



مكان الجريمة

ملحق الكتاب

محاولة اغتيال لينين

ولد فلاديمير ايليتش لينين في ٢٢ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٠، في مدينة سيمبيرسك (اوليانوفسك) حالياً الواقعة على ضفة نهر الفولغا.

كان والداه ينتميان إلى الفئة المثقفة الديمقراطية التقدمية القومية. مارس والده ايليا نيكولا يفيتش اوليانوف تدريس الرياضيات والفيزياء. أما والدته فكانت معلمة.

في ربيع سنة ١٨٨٧، أدى فلاديمير امتحانات التخرج من المدرسة وهو في سن السابعة عشرة. وفي ذلك الحين بلغ الأسرة نبأ اعتقال ثم إعدام شقيقه الأكبر الكسندر الطالب في جامعة بطرسبورج لمشاركته في محاولة لاغتيال القيصر.

وكان ألكسندر اوليانوف عضواً في الجمعية الثورية السرية «إرادة الشعب» التي أنكر أفرادها دور الطبقة العاملة في النضال الثوري، واعتبروا أن فئة الفلاحين هي القوة الثورية الرئيسية، وأن الإرهاب الفردي واغتيال القيصر ووزرائه هو الأسلوب السياسي الأساسي للنضال الثوري.

لقد هزّ فلاديمير أوليانوف إعدام شقيقه، وبنفس الوقت عزز ثقته بوجوب السير على درب آخر غير الذي سلكته جمعية (إرادة الشعب) من أجل تحرير

الشعب من الاستغلال والاضطهاد.

واهتم لينين في حياته الجامعية بالنضال السياسي . . . وقد عكف لينين علىٰ دراسة الماركسية حتى أصبح حجة فيها. ولقد تمكن عام ١٨٩٥ من تجميع الحلقات الماركسية في بطرسبورج في تنظيم موحد هو «عصبة النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة». ويعتبر هذا التنظيم هو البداية الحقيقية للحزب الشيوعي في روسيا. أول إسهاماته الفكرية هو كتابه (من هم أصدقاء الشعب). وفي هذا الكتاب يدحض طريق الإغتيال الذي كانت تتبناه جماعة الشعبيين ويدعو إلىٰ طريق الثورة العلمية، الذي يقوم علىٰ توعية الطبقة العاملة بنظريتها الاشتراكية، وتنظيمها تنظيماً يكفل لها قيادة جميع القوىٰ الديمقراطية الأخرىٰ.

وفي عام ١٨٩٥ قبض على لينين ثم نفي إلىٰ سيبيريا. وهناك لحقت به كروبسكايا زميلته وساعده الأيمن. وكان قد التقى بها في أثناء مهمة ثورية في بطرسبورج عام ١٨٩٤. ولقد تزوجا في المنفىٰ في ٢٣ تموز (يوليو) عام ١٨٩٨.

علىٰ أن وجود لينين في المنفىٰ لم يمنعه، من الاتصال بالحركة الثورية ومتابعتها. وكانت المشكلة الأولىٰ التي تواجه هذه الحركة هي توحيدها فكرياً وتنظيمياً. ولهذا اجتمع ممثلو التنظيمات الماركسية المختلفة في آذار (مارس) ١٨٩٨، من أجل بناء تنظيم ماركسي موحد. ولقد نجحوا في انتخاب لجنة مركزية لهذا التنظيم وإصدار بيان عام يحدد أهدافه الرئيسية.

ورغم موافقة لينين بشكل عام علىٰ هذا الاجتماع وعلىٰ نتائجه، إلَّا أنه تبين فيه اتجاهاً نحو تغليب النضال الاقتصادي في حركة الطبقة العاملة وإغفال النضال السياسي. وفضلاً عن هذا فسرعان ما تم القبض علىٰ أعضاء اللجنة المركزية المنتخبة، وبرزت الحاجة من جديد إلىٰ قيادة فكرية وتنظيمية.

وفي شباط (فبراير) عام ١٩٠٠، انتهت مدة النفي، وأفرج عن لينين، فبدأ مرحلة حاسمة من حياته، من أجل توحيد الماركسية في حزب طليعي واضح الأهداف الثورية.

وغادر لينين روسيا وأخذ يتنقل بين سويسرا، وألمانيا، وباريس، ولندن، وفي هذه الفترة تساءل لينين ما هي الحلقة الرئيسية لتحقيق هذا الحزب!؟ وكانت الإجابة هي المجلة. ولهذا قرر إصدار مجلة «اسكرا» أي الشرارة، كوسيلة للدعوة إلىٰ الحزب الجديد، وللربط بين مختلف التنظيمات الماركسية، تمهيداً لتوحيدها. وفي هذه الأثناء اتخذ فلاديمير اسمه السري (لينين)، الذي ارتبط به وغلب علىٰ اسمه الحقيقي. ولعلّ أخطر ما كتبه لينين في هذه الفترة كتابه (ما العمل) الذي يفند فيه آراء الاقتصاديين، ويؤكد فيه أن القضية ليست قضية تحقيق أهداف اقتصادية للطبقة العاملة، وإنما هي تغيير جذري للمجتمع والدولة. ولهذا فإنَّ الدعوة إلىٰ الإكتفاء بالنقابات المهنية دعوة متخلفة، ولا بد من قيام حزب يقوم علىٰ النظام الحديدي، ويستند إلى حزب من الثوريين.

وفي تموز آب (يوليو ـ أغسطس) عام ١٩٠٣، انعقد المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي في روسيا، وتم فيه إقرار لائحة الحزب وبرنامجه. وفي هذا المؤتمر احتدمت أولىٰ المعارك النظرية بين لينين وخصومه، حول شروط عضوية الحزب وحول قيادة الطبقة العاملة للثورة.

وبرز جناحان: جناح البولشفيك أي الأغلبية وهم أنصار لينين، وجناح المنشفيك أي الأقلية. وقد ظلت هذه الخصومة وهذا الصراع في الحركة الماركسية الروسية، حتى صفيت بانتصار الثورة عام ١٩١٧، واندحار أفكار المنشفيك.

من أهم مؤلفات لينين:

ـ من هم أصدقاء الشعب ١٨٩٤.

ـ تطور الرأسمالية في روسيا ١٨٩٩.

ـ ما العمل؟ ١٩٠٢.

ـ الاستعمار أعلىٰ مراحل الرأسمالية ١٩١٧.

ـ الدولة والثورة ١٩١٧.

ـ رسائل إلىٰ المؤتمر ١٩٢٣.

بالإضافة إلى مجموعة هائلة من المقالات والرسائل والخطب والقرارات والمذكرات

يضمها الآن نحو ٣٦ مجلداً.

لكن الحياة العنيفة العاصفة التي عاشها لينين. . فضلاً عن جرح قديم من محاولة اغتياله في ٣٠ آب (أغسطس) سنة ١٩١٨، عقب اجتماع جماهيري في أحد مصانع موسكو، على يد الإرهابية اليهودية كبلان، وتأخر الأطباء في إجراء عملية جراحية بغية استخراج إحدىٰ الرصاصات الباقية في جسمه بعد إصابته «العملية الجراحية أجريت في ٢٣ نيسان ابريل ستة ١٩٢٢»، لم تتح له أن يواصل حياته فمات في سن مبكرة في ٢١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤، في مساء الساعة السادسة وخمسين دقيقة[١].

ومما سبق ذكره، نجد أن لينين، يعتبر إضافة جديدة إلىٰ نظرية ماركس وانجلز، وتبرز أهم إضافاته في نظرية الحزب، والتحالف بين العمال والفلاحين، وحلّ مشكلة القوميات، ودكتاتورية البروليتاريا، وربطه بين الثورة الاشتراكية وحركات التحرر الوطني، وتحليله للاحتكار، فضلاً عن تحليلاته الفلسفية القيمة.

ومن الحق أن نقول إن ثورة ١٩١٧ الاشتراكية، هي ثورة عالمية بكل معنى الكلمة، طرحت علىٰ الإنسان المعاصر في كل مكان أسئلة لم يسبق طرحها بمثل هذا الاتساع والقوة والإلحاح في التاريخ من قبل. . هذه الثورة التي يصفها معظم المؤرخين، حتى من غير الاشتراكيين بأنها «أكبر ثورة في التاريخ»[٢].

---

(١) لينين، بصدد مكافحة التخريب،منشورات وكالة نوفوستي، موسكو١٩٨٤، ص٨٠ و٨٣.

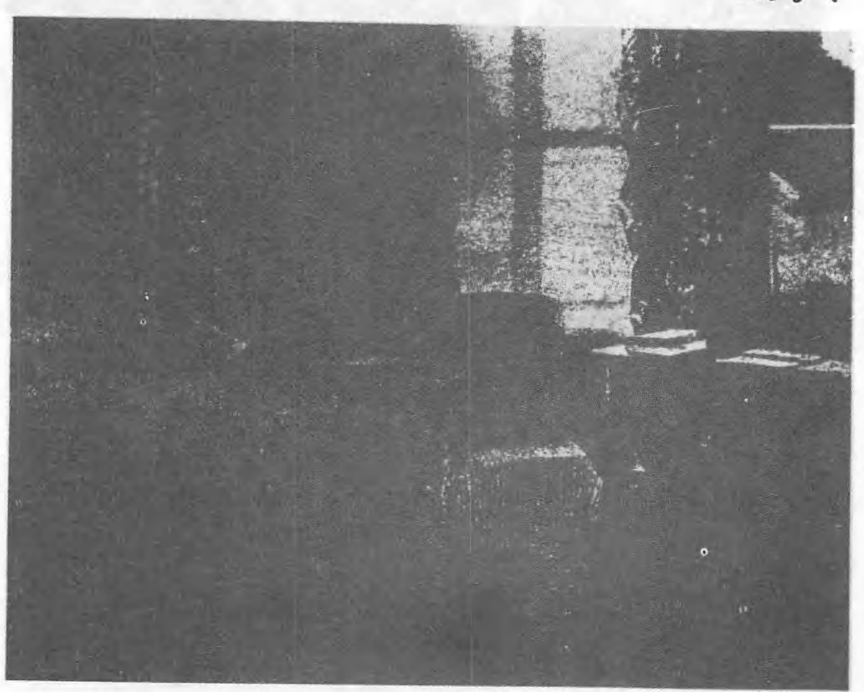
(٢) الهلال، العدد الحادي عشر، السنة ٧٥، ١٩٦٧.



صورة لعائلة أوليانوف، ويرى فيها فلاديمير ايلتيش، جالساً أمام أبيه، وهو الذي أصبح معروفاً باسم «لينين»

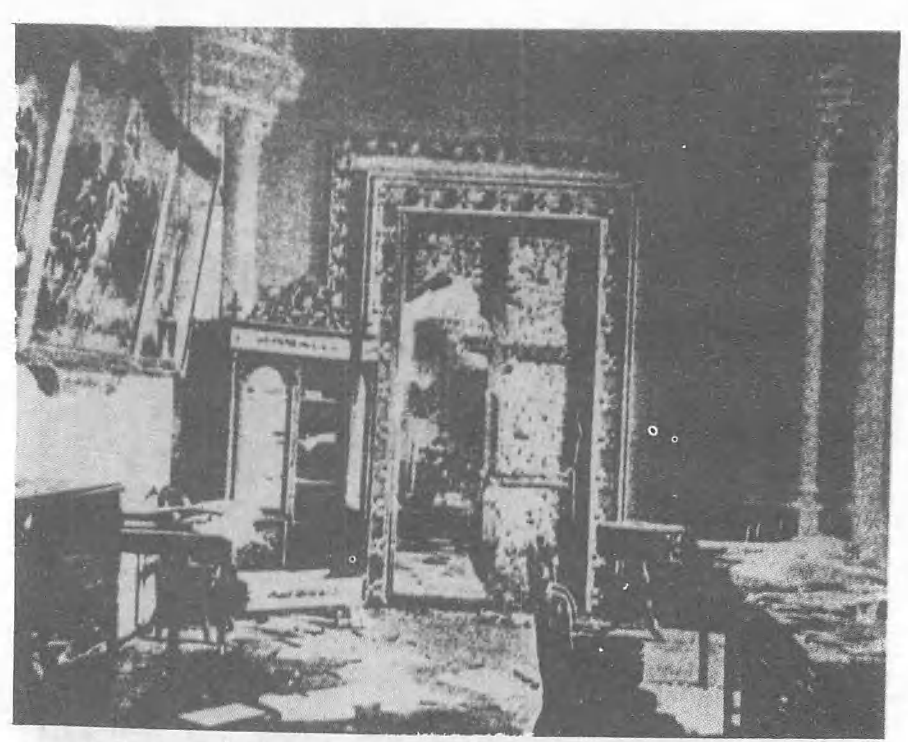


كان لينين قارئا وكاتبا ممتازا، يحرص على الاطلاع الدائم. وإلى أسفل صورة لحجرة نومه في بيته بالكرملين.

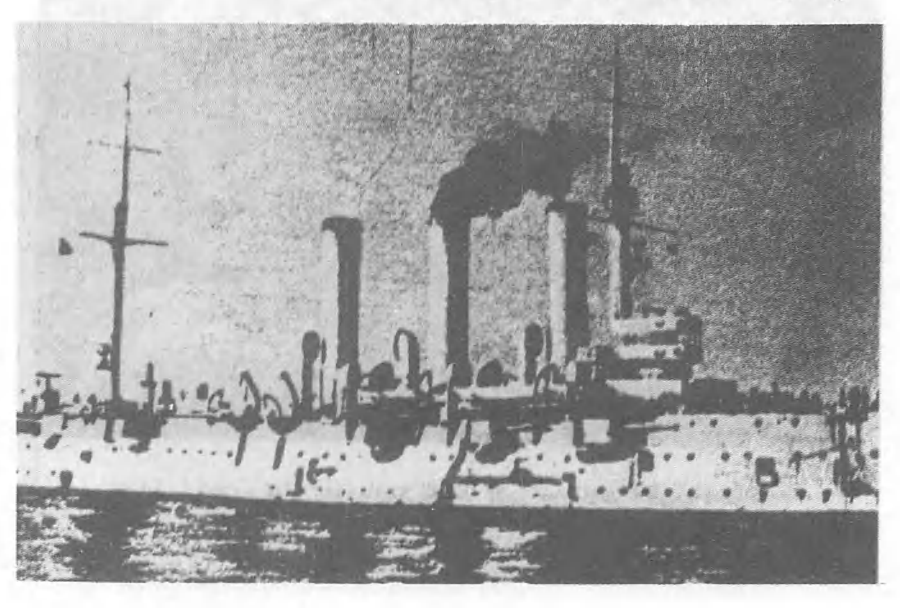


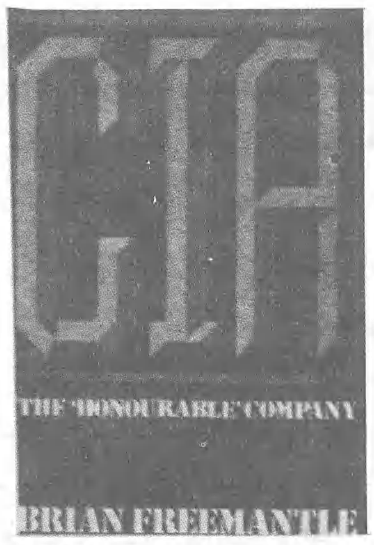


لينين في أواخر حياته يزاول رياضته المفضلة وهي السير بين المناظر الطبيعية الجبلية.



قاعة مجلس الوزراء في قصر الشتاء بعد إسقاط حكومة كيرنسكي. وإلى أسفل المدمرة «الفجر» التي ضربت مقر الحكومة قبل أن تتمكن من الاستيلاء عليه.





محاولة اغتيال جمال عبد الناصر

منذ فترة. . صدر في الولايات المتحدة وبريطانيا في آن واحد، كتاب للكاتب البريطاني بريان فريمانتيل بعنوان: «سي.آي.أيه» ويروي المؤلف في كتابه العديد من الحقائق عن وكالة الاستخبارات المركزية وعن تاريخها. . والمؤامرات التي أحاكتها لقتل العديد من زعماء العالم ومن بينهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

كان جمال عبد الناصر، أحد أهداف وكالة الاستخبارات المركزية الرئيسية، حيث يذكر المؤلف أن الوكالة حاولت اغتياله ثلاث مرات، ولكنه لا يورد إلاَّ تفاصيل المحاولة الأولىٰ. فقد كانت وكالة الاستخبارات البريطانية، تحاول اغتيال عبد الناصر قبيل العدوان الثلاثي بأمر من انتوني إيدن، بدعوىٰ أن التخلص منه سينفي الحاجة إلىٰ اتخاذ عمل عسكري ضد مصر، ولكنها فشلت. وبعد الإذلال الذي لحق برئيس الوزراء البريطاني انتوني إيدن، إثر فشل العدوان الثلاثي والحقد الذي تزايد في نفسه علىٰ عبد الناصر، طلب رسمياً من الرئيس الأمريكي ايزنهاور أن يعهد إلىٰ وكالة الإستخبارات المركزية بالتخلص من عبد الناصر، فاستجاب ايزنهاور لطلبه! ويكشف موقف ايزنهاور عن وجود تناقض واضح بين الموقف الأمريكي الرسمي من العدوان الثلاثي وموقفها الرسمي من العدوان. وسبب لجوء إيدن إلىٰ ايزنهاور لاغتيال عبد الناصر عائد

إلىٰ اضمحلال دور الإستخبارات البريطانية في القاهرة بعد العدوان وازدهار دور الاستخبارات الأمريكية. فقد كـان مايلر كـوبلانـد صاحب كتـاب «لعبة الأمم» الشهير، رئيس محطة وكـالة الإستخبـارات المركـزية في القـاهرة. وكـانت تربـطه صداقة شخصية وثيقة بعبد الناصر. حتى أنه، كما يقول المؤلف:

«كان يذهب لزيارة عبد الناصر في أي وقت وفي أي من أماكن إقامته دون موعد مسبق ودون أن يعترضه الحـرس المكلف بحمايـة عبد النـاصر. استـدعي كوبلاند إلىٰ واشنطن وعهد إليه بـالتخلص من عبد النـاصر، ثم أرسـل عبر نهر بوتوماك إلىٰ ضاحية روزلين في واشنـطن حيث كان يـوجد يـومئذ المخـزن التقني للوكالة، وهو الدائرة المختصة بتزويد القتلة من عمـلاء الوكـالة بـأية أسلحـة أو معـدات أو سموم للتخلص من ضحيتهم بـطريقة لا تشـير بـأصبـع الاتهـام إلىٰ الولايات المتحدة. اجتمع برئيس المخزن الدكتور «سدني غوتليب» عـالم الكيمياء العضوية، الذي طور مع زملائـه عدداً من السمـوم الفتاكـة... وكان غـوتليب يعرف أن عبد الناصر مدمن على تـدخين سجـاير (كنت) الأمـريكية. ولـذا أعد علبة سجاير «كنت» مغلفة بالسيلوفين، وقال لكوبلاند أنها محقونة بسم زعـاف، بحيث إذا لامست السيجارة شفتي عبد الناصر يموت خلال ساعة أو سـاعتين في الأكثر، دون أن يخلف السم أثراً يدل علىٰ سبب الوفاة.

سأل كوبـلاند: أي السجـائر في العلبـة هي التي عولجت بـالسم؟ أجاب غـوتليب بأن جميـع السجائـر مسمومـة! وأن عليه لإبعـاد الشبهة عنـه أن يدخن إحدىٰ السجائر المسمومة بنفسه عندما يقدم إحداهـا لناصـر. ذهل كـوبلانـد.. ولكن غوتليب طمأنه بأنه أعد ترياقـاً له سيبـطل مفعول السم إذا حقن نفسـه به قبل مرور ساعة من تدخينه السيجارة المسمومة.

حمل كوبـلاند علبـة السجائـر المسمومـة إلىٰ القاهـرة، ولكنه لم يعتـزم قط اغتيال جمال عبد الناصر! والمؤلف لا يشرح أسبـاب معارضـة كوبـلاند لاغتيـال ناصر، ولكنه يقول: إن العميل الأمريكي تـذرع بأن تنفيـذ العملية صعب... وأسقطت الخطة بمرور الوقت.



عبد الناصر مع الرئيس الأميركي ايزنهاور . . . في الأمم المتحدة



الدكتور سدني غوتليب: حاول تسميم عدد من زعماء العالم





محاولات اغتيال الأسقف مكاريوس

ولد مكاريوس في قرية «بانيا» النائية في غرب جزيرة قبرص، بالقرب من بافوس، في ١٣ آب (أغسطس) عام ١٩١٣، من والدين فقيرين. وكان والده يرعىٰ الغنم. ونقل عن مكاريوس قوله:

«كان أبي يردد دائماً علىٰ مسمعي أنني لن أكون راعياً جيداً مثله!». وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره أصبح راهباً في دير «كايكو»، ومن ثم أوفده الدير إلىٰ المدرسة الثانوية في نيقوسيا. حيث تابع دراسته.. وبعدها تلقىٰ تعليمه العالي في أثينا. وفي عام ١٩٤٢ تخرج من كلية اللاهوت في جامعة أثينا، وتابع دراسة القانون مدة سنتين في نفس الجامعة.

في عام ١٩٣٨، سيم شماساً، وفي عام ١٩٤٦، سيم كاهناً. وخصص له مجلس الكنائس العالمي منحة دراسية، فسافر إلىٰ أمريكا لمتابعة دراسة اللاهوت، في كلية اللاهوت في جامعة بوسطن. وأثناء وجوده هناك انتخب أسقفاً لكيتيوم في قبرص.

وعاد مكاريوس إلىٰ الجزيرة ليستأنف نشاطه اللاهوتي، وفي ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٥٠، أقيم احتفال ديني رسمي في كاتدرائية القديس يوحنا في نيقوسيا، انتخب خلاله رئيساً للأساقفة، وبصورة أوتوماتيكية أصبح

الزعيم الوطني للشعب القبرصي.

بعد مرور عامين على انتخابه رئيساً للأساقفة، قام بعدة رحلات إلىٰ الخارج لكسب الدعم للشعب القبرصي، في نضاله من أجل الحرية والاستقلال. وقد أسدت هذه الرحلات خدمة كبيرة إذْ عرّفت العالم إلىٰ القضية القبرصية.

اشترك في المؤتمر الأفريقي - الآسيوي الأول، الذي عقد في باندونغ عام ١٩٥٥ بصفة مراقب رسمي.

وفي نيسان (ابريل) ١٩٥٥ ظهرت حركة «ايوكا» بقيادة جورج غريفاس فدعمها مكاريوس ثم عاد فاختلف معها. وخلال هذه المعارك التي خاضتها المنظمة ضد القوات البريطانية في الجزيرة، عقد مكاريوس أول اجتماع له مع وزير المستعمرات البريطانية آنذاك «الن لينوكس بويد» كما عقد سلسلة اجتماعات مع حاكم قبرص البريطاني السابق السير «جون هاردينغ» ولكن المحادثات معه حول مستقبل الجزيرة لم تسفر عن أية نتائج سوىٰ نفيه إلىٰ جزيرة (سيشيل) في المحيط الهندي في ٩ آذار (مارس) ١٩٥٦، حيث مكث فيها حتى ٢٨ آذار (مارس) ١٩٥٧، عندما أطلقت بريطانيا سراحه مشترطة عليه عدم العودة إلىٰ قبرص، فسافر إلىٰ أثينا حيث استقبل بحفاوة بالغة.

ووجهت إليه الحكومة البريطانية في شباط (فبراير) عام ١٩٥٩، دعوة رسمية لزيارة لندن وإجراء محادثات حول مستقبل الجزيرة. وأسفرت المحادثات عن توقيع اتفاقية لندن التي كانت بمثابة استمرار لاتفاقية زوريخ. وبموجب هاتين الاتفاقيتين أعلنت قبرص دولة مستقلة. وأصبح مكاريوس حراً في العودة إلىٰ الجزيرة. وفي أول آذار (مارس) عام ١٩٥٩ عاد إلىٰ نيقوسيا، واستقبل استقبال الأبطال.

وفي ١٣ كانون الأول (ديسمبر ١٩٥٩، انتخب رئيساً للجمهورية ومارس مهام الرئاسة رسمياً في ١٦ آب (أغسطس) ١٩٦٠، وأعيد انتخابه في ٢٥ شباط

(فبراير) ١٩٦٨، بأغلبية ٩٥,٤٥٪.

اشترك في عدة مؤتمرات عقدتها منظمة دول الكومنولت، وفي مؤتمرات دول عدم الإنحياز. منحته عدة جامعات دكتوراه شرف وأول هذه الجامعات جامعة بوسطن.

نجا من ثلاث محاولات اغتيال:

كانت أولاها في شهر آذار (مارس) عام ١٩٧٠، عندما أطلقت رشقات من الرصاص علىٰ طائرة عمودية كان يستقلها فور إقلاعها من باحة قصر الرئاسة. وأسفر الحادث عن إصابة قائد الطائرة بجروح خطرة ونجا مكاريوس من موت محتم.

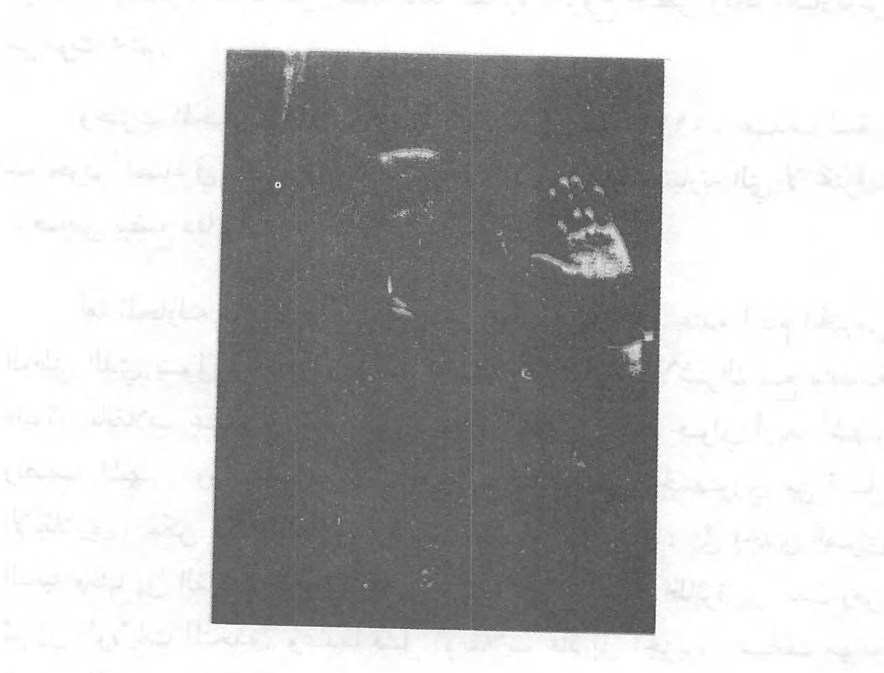
وجرت المحاولة الثانية في تشرين الأول عام ١٩٧٣، عندما نسف مسلحون أعضاء في منظمة «ايوكا» جسراً قبل مروره عليه بسيارته التي لا يخترقها الرصاص ببضع دقائق.

أما المحاولة الثالثة فكانت في تموز (يوليو) ١٩٧٤، عندما قام الحرس الوطني الذي يتولىٰ قيادته ضباط من الجنسية اليونانية بالاشتراك مع منظمة «ايوكا» بانقلاب عسكري أسفر عن الإطاحة بنظام حكمه حوالي أربعة أشهر ونصف الشهر. ورغم القصف المدفعي المركز للقصر الجمهوري من قبل الإنقلابيين، تمكن مكاريوس من الهرب سالماً من نيقوسيا، إلىٰ إحدىٰ القرى النائية ومنها إلىٰ القاعدة البريطانية في الجزيرة، حيث استقل طائرة إلىٰ لندن ومن ثم إلىٰ الولايات المتحدة. وعندما فشل الإنقلاب عاد إلىٰ الجزيرة واستأنف مهامه كرئيس للجمهورية، وظل يناضل من أجل توحيد قبرص، ووضع حد للتقسيم إلىٰ أن وافته المنية فجر يوم الأربعاء ١٠ آب (أغسطس) ١٩٧٧، بعد إصابته بنوبة قلبية.

وقد سجي جثمان مكاريوس في كاتدرائية القديس يوحنا، حيث تقاطر

عشرات الألوف من القبرصيين لإلقاء نظرة أخيرة على زعيمهم وتقبيل يده قبلة الوداع الأخير.

وقد جرت العادة أن يدفن رؤساء الأساقفة وهم جالسون على كرسي الأسقفية بثيابهم الكهنوتية.. ولكن مكاريوس كان قد أبلغ قبل وفاته أساقفة السنودس القبرصي بأن يلف في كفن ويدفن في قبر كما يدفن المواطنون لدى وفاتهم[١].



(١) المستقبل، العدد ٢٥، ١٩٧٧.



جثمان الأسقف مكاريوس





محاولة اغتيال

محمد داوود عودة

منذ (١٥) سنة والمخابرات الإسرائيلية تلاحق أبو داود لاغتياله. . أخيراً وجدوه في بولونيا وأطلقوا عليه الرصاص. . لكنه نفد من الموت. . وكما ذكرت في فصل سابق فإن المخابرات الإسرائيلية ليست معجزة وليست ذات نفوذ قاهر. . أو دهاء كما تحاول الدعاية الإسرائيلية أن تقدمها للعالم. .

يقول أبو داود: «إن المسؤولين الفلسطينيين يمارسون في دول أوربا الشرقية نوعاً من الاسترخاء نظراً للرعاية التي يحاطون بها هناك. ولذلك فهم لا يحاطون بتدابير أمنية استثنائية، كما هو حالهم في دول أوربا الغربية. ويضيف أبو داود أنه في تلك المرة (آخر شهر تموز من عام ١٩٨١) لاحظ أن بولونيا أقل أمناً ومدعاة للإسترخاء. فلم يلاحظ وجود رجال أمن داخل الفندق، كما هي العادة دائماً، لذلك اتخذت إجراءات أمنية ألزمتني غرفتي طوال (٢٤) ساعة التي أمضيتها في الفندق. حتى جاءتني إشارة إلىٰ الغرفة بأن لي رسالة لدىٰ موظف الإستقبال، فنزلت من غرفتي واستلمت الرسالة، ثم رغبت في أخذ فنجان قهوة في مقهى الفندق ـ الذي يقع في وارسو ـ فدخلته واتخذت لنفسي مكاناً يستر ظهري إمعاناً في الحذر، وجلست أتأمل ما تحمل الرسالة وقد أسندت رأسي بيدي اليسرىٰ. . حتى جاءت الرصاصة الأولىٰ مخترقة يدي. . فنهضت لأتلقى الرصاصة الثانية التي كانت موجهة إلىٰ رأسي. . فهجمت علىٰ الجاني لانتزاع المسدس من يده. .

فـارتبك المهـاجم وراح يرمي عشـوائياً فـأفرغ رصـاصـاتـه في نـواحٍ مختلفـة من جسمي. . إلّا أنها كـانت إصابـات غير قـاتلة. . وصلت إلىٰ مسافـة سنتمتـرات قليلة من الجاني، إلاَّ أنني لم أستطع الإمساك به فهـرب فتبعته عـلى الدرج. . إلا أنه تمكن من الخروج من الباب الرئيسي، فلم ألحق به لما في ذلك من احتمالات خطرة إذْ قد يكون له مساعدون في انتظاره).

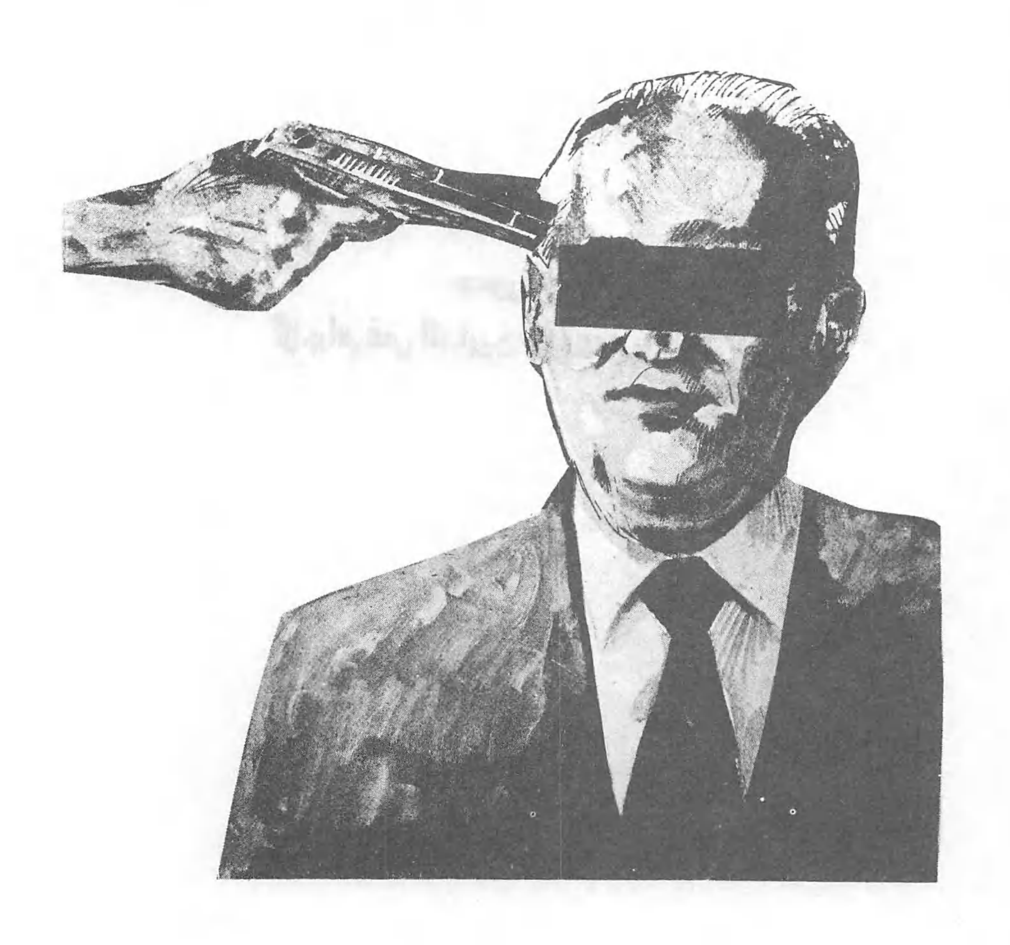
ولكن من هو الجاني؟ يقول أبو داود أن الجاني كان شرقي الملامـح، ولكن هذا لا يعني أن يكون عربياً بالضرورة. وقناعتي هو أنه إما إسـرائيلي أو مستـأجر من الإسرائيليين. . . ويتصور أبو داود ما جرىٰ علىٰ الشكل الآتي:

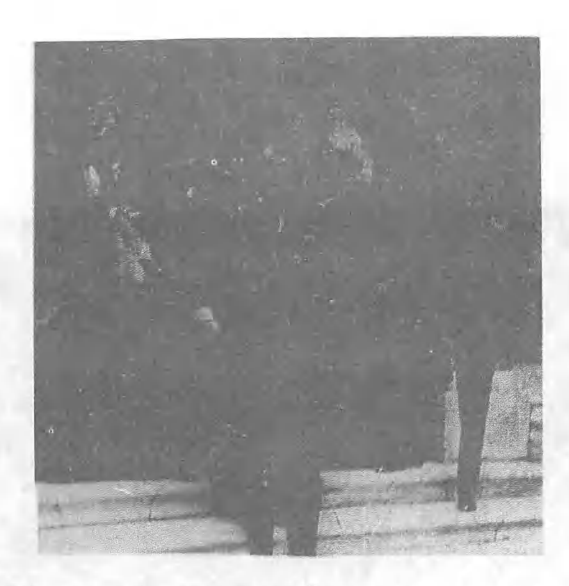
دخلت وارسو كسائح عادي، وكنت علىٰ موعد مع جهـة بولـونية معينـة. ولكن ليس شرطاً أن تكون السلطات البولونية عـلىٰ علم بوجـودي، فلكل جهـة في بولونيا جهازها الخاص، وبالتالي لم أكن زائـراً رسمياً. والمـرجح أن (المـوساد) نجحت في اختراق الجهاز الـذي كنت علىٰ مـوعد معـه. . . وعلم بموعـد مجيئي وكان ما كان. . . وحتى هذه المـرة عندمـا صادوني كـانت غلطتي المسؤولة وليس مهارتهم ولولا لم أكن مسترخياً لما استطاعوا أن يصيدوني[١].

---

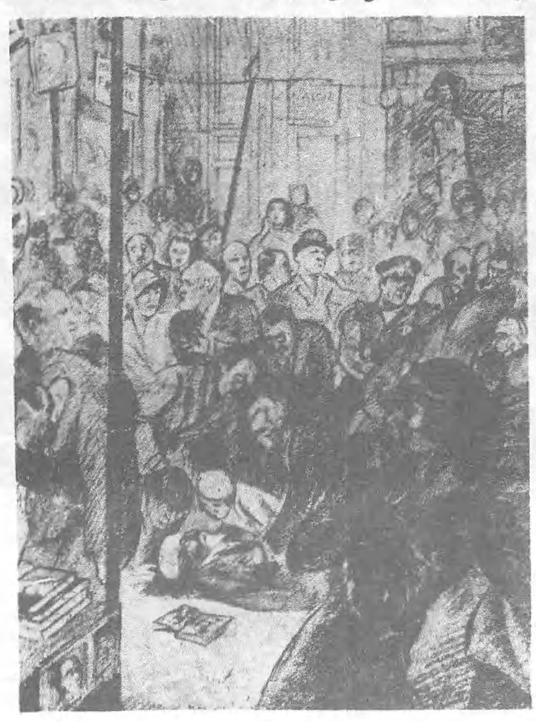
(١) المجلة، العـدد ٩٢، تشرين الثـاني (نوفمبر) ١٩٨١.

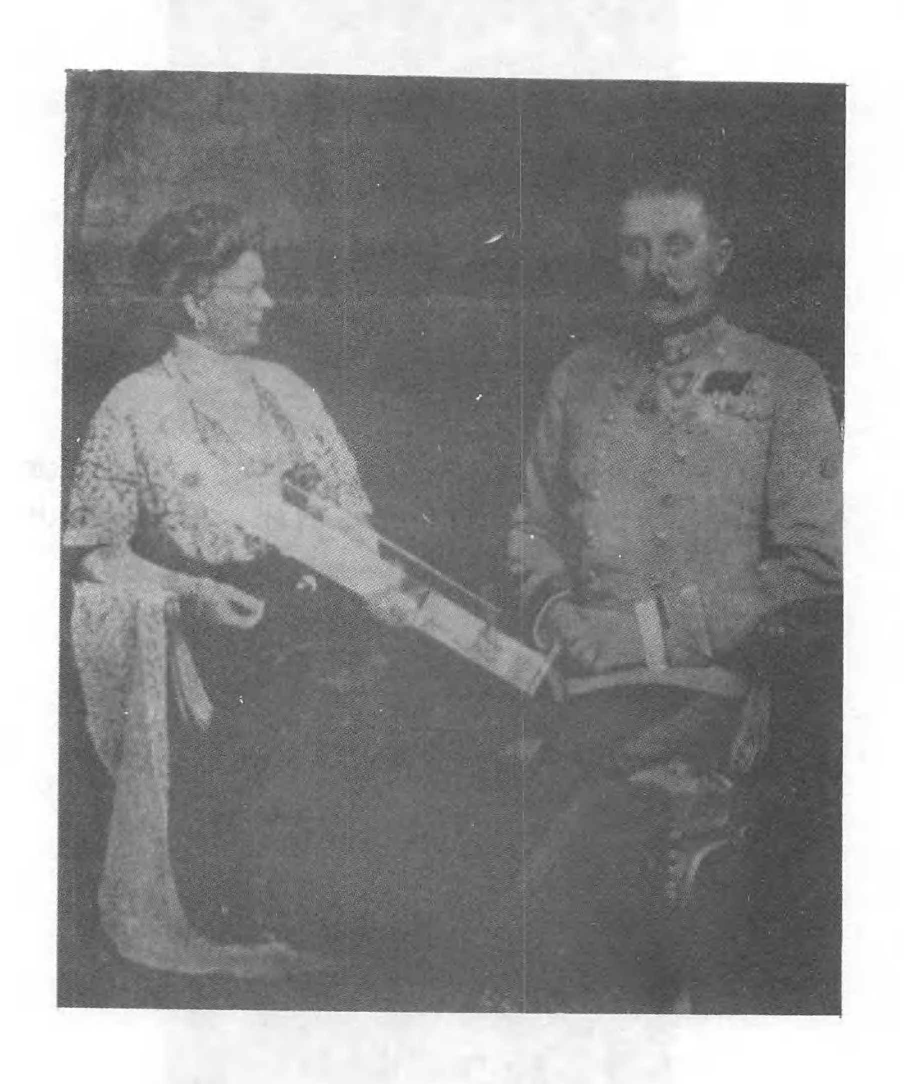
صور من
الاجرام في التاريخ الأوروبي القديم



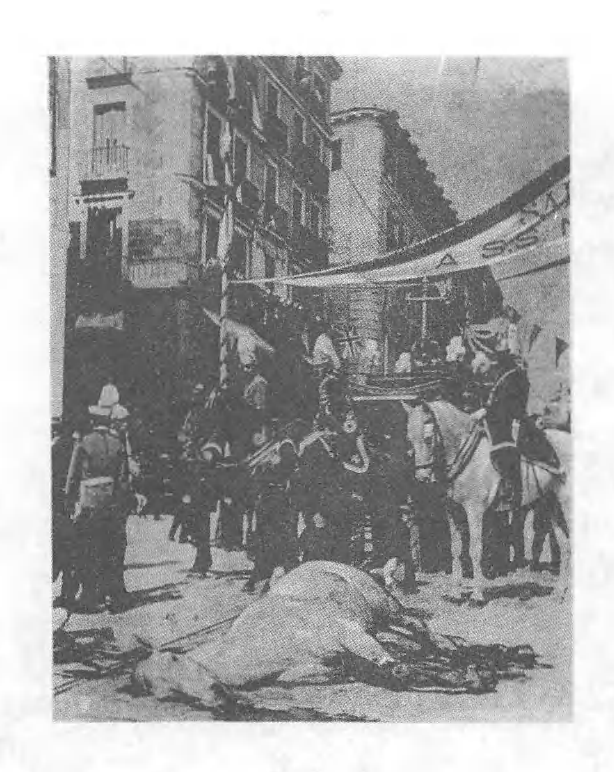


كان بول دوميه رئيس جمهورية فرنسا خارجاً من قصره يوم (٦) آيار (مايو) فأقدم أحد المهاجرين علىٰ إطلاق عيارين ناريين عليه فنقل علىٰ الفور إلىٰ المستشفى، ولكنه ما لبث أن فارق الحياة.

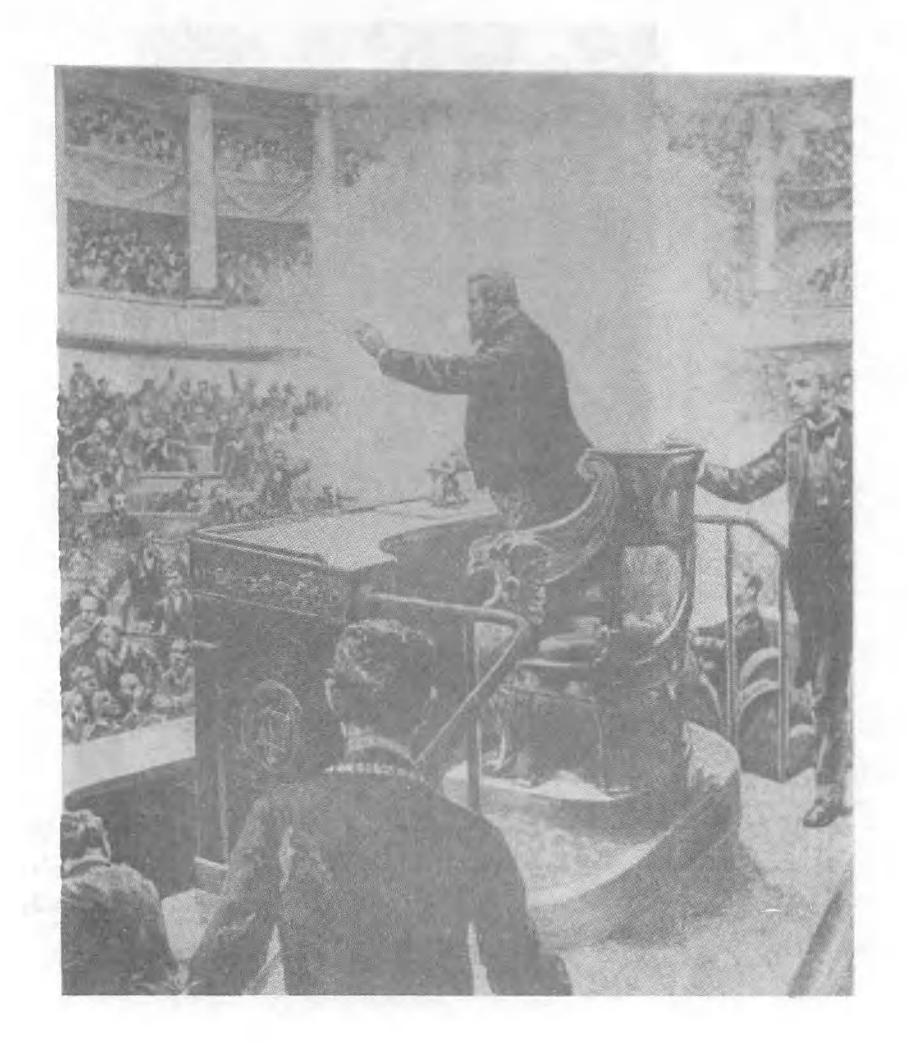




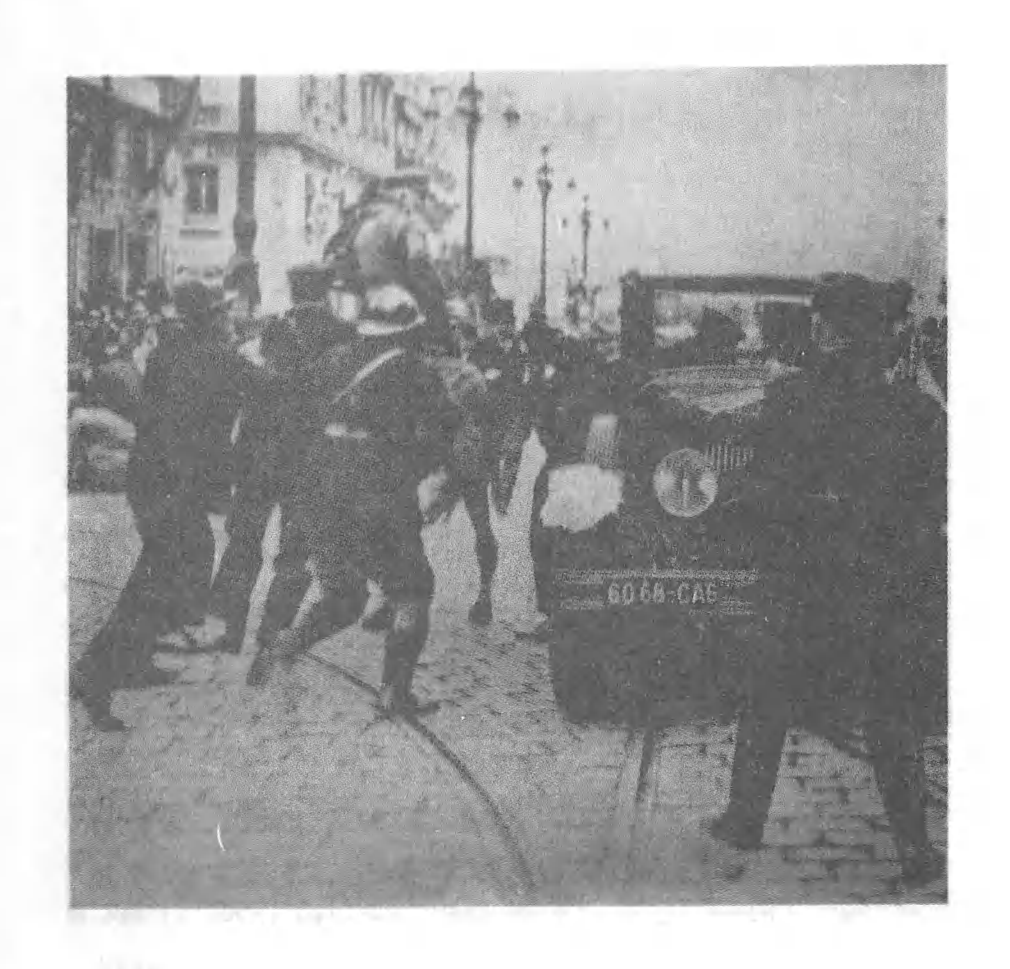
٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٤ تعرض الارشيدوق فرنسوا فردينان ولي عهد النمسا والمجر وزوجته إلى الإغتيال في مدينة سيراجيفو.



بينما كان الملك الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا يتجول في مدريد بعربته الملكية يـوم ١٣ أيار (مايو) ١٩٠٦، تعرض لمحاولة اغتيال، إذْ ألقيت عـلىٰ العربـة قنبلة، نجا منهـا الملك وزوجته ولكنها قتلت ٢٨ شخصاً.



كان مجلس النواب الفرنسي، يعقد جلسة هامة في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٣ م عندما اندفع إلى داخل المجلس «الإرهابي» فايان، فألقى قنبلة جرحت عدداً من النواب، وقد تم إلقاء القبض على الجاني وجرى إعدامه بالمقصلة في العام التالي.



كان الملك الكسندر الأول ملك يوغسلافيا يزور مدينة مارسيليا الفرنسية، وبرفقته وزير الخارجية الفرنسية لوي بارتو، وفجأة هجم على السيارة بتروس كاليمن من الجنسية الكرواتية، فقتل الملك والوزير، إلاّ أن الحرس والمحيطين بالموكب انهالوا بالسيوف على القاتل وقطعوه بسيوفهم إرباً.. إرباً!

مراجع الكتاب

- موسوعة الهلال الاشتراكية، مجموعة من المؤلفين، القاهرة.
- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، بيروت.
- الموسوعة الفلسطينية، رئيس التحرير د. عبد الهادي هاشم، دمشق.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، بيروت.
- موسوعة السياسة، المؤلف الرئيسي رئيس إلتحرير، د. عبد الوهاب كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- المؤلفات الكاملة، صدقي اسماعيل، المجلد الأول، دمشق.
- الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني، د. عبد العزيز المقالح، بيروت.
- نقطة في الظلام، ديوان شعر، محمد محمود الزبيري، تقديم د. عبد العزيز المقالح، بيروت.
- ألغاز من عالمنا، اندره كسبار، بيروت.
- التاريخ الصغير، سمير شيخاني، بيروت.
- الحركات السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، طارق البشري، القاهرة.
- لينين بصدد مكافحة التخريب، منشورات وكالة نوفوستي، موسكو.
- الجرائم الكبرىٰ في التاريخ، ترجمة نازك باسيلا، عن النهار العربي والدولي.

● المختار من ريدرز دايجست، تشرين الثاني ١٩٨٢ .
● الجيل، المجلد ٢ ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٨١ .
● الهلال العدد الحادي عشر، ١٩٦٧ .
● الموقف العربي، العدد ١٣١ ، ٢٣ نيسان ١٩٨٣ .
● المجلة العدد ٩٢، تشرين الثاني ١٩٨١ .
● المستقبل العدد ٢٥ ، ١٩٧٧ .
● المستقبل العدد ٣٥، ١٩٧٧ .
● الأسبوع العربي، العدد ٩٤٧ ، ٢٤ تشرين الأول، ١٩٧٧ .
● دعوة لزيارة بريطانيا الجميلة ، الصادر عن هيئة السياحة البريطانية ، لندن .
● صحيفة الثورة السورية ١٩٨٥/١٢/٦ .
● الكفاح العربي، ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٥ .
● الكفاح العربي، العدد ٣٩٧، ١٩٨٦/٢/٢٧ .

من مؤلفات هاني الخير المطبوعة

١ ـ دراسات في التراث العربي .
٢ ـ تراث ومعاصرة .
٣ ـ رباعيات عمر الخيام في العربية .
٤ ـ يحدثونك عن أنفسهم ج ١ .
٥ ـ يحدثونك عن أنفسهم ج ٢ .
٦ ـ يحدثونك عن أنفسهم ج ٣ .
٧ ـ الروض العاطر في نزهة الخاطر ، إعداد وتحقيق
٨ ـ القصائد الأخيرة ، للشاعر أحمد الصافي النجفي ، تقديم وجمع
٩ ـ هذا أنت أيها الموحش ، حكايات ساخرة .
١٠ ـ أسرار مثيرة من العالم .
١١ ـ الرسالة اللازوردية في موت الأولاد ، للإمام السيوطي ، تحقيق
١٢ ـ أشهر الإغتيالات السياسية في العالم الجزء الأول .
١٣ ـ أشهر الإغتيالات السياسية في العالم الجزء الثاني .

الفهـــرس